أساليب القرآن في التعامل مع المُذنب

إعداد

جمانة بنت طلال محجوب

بحث مقدم لاستكمال نيل درجة الماجستير

(قسم الشريعة والدراسات الإسلامية -مسار الكتاب والسنة)

إشراف

د. صالحة حسين الشريف

الأستاذ المشارك في قسم الشريعة والدراسات الإسلامية

تخصص التفسير وعلوم القرآن

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبد العزيز

جدة – المملكة العربية السعودية

ربيع الأول ١٤٣٩هـ -٢٠١٧م

أساليب القرآن في التعامل مع المُذنب

Quran's Methods in Dealing with Sinners

إعداد

جمانة بنت طلال عبد الرحمن محجوب

تمت الموافقة على قبول هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات
درجة الماجستير في الشريعة والدراسات الإسلامية

لجنة المناقشين والحكم على الرسالة

	الاسم	المرتبة العلمية	التخصص	التوقيع
عضو داخلي	د. خيرية الشهري	أستاذ مساعد	تفسير القرآن وعلومه	
عضو خارجي	د. نجبة غلام	أستاذ مشارك	تفسير القرآن وعلومه	
المشرف	د. صالحة الشريف	أستاذ مشارك	تفسير القرآن وعلومه	

جامعة الملك عبد العزيز
ربيع الأول، ١٤٣٩هـ - ديسمبر، ٢٠١٧م

شكر وتقدير

أحمد الله – عز وجل - أولًا وآخرًا حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، على توفيقه وتيسيره إعداد هذه الرسالة.

ثم أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان لأهل الفضل عليّ بعد الله -سبحانه وتعالى -وفي مقدمتهم والدي العزيزان -حفظهما الله ورعاهما -على ما بذلاه في سبيل تربيتي وتعليمي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لمشرفتي على الرسالة **سعادة الدكتورة/ صالحة الشريف**، فجزاها الله عني وعن صبرها عليّ خيرًا.

كما يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني لإتمام هذه الرسالة من أهلي وأقاربي وصديقاتي لدعمهم المتواصل، ودعائهم الدائم، وشكري موصول إلى كل من ساهم بإعارة مرجع أو أفاد بمعلومة أو نصيحة أو دعاء في ظهر الغيب.

كما أتوجه بالشكر والعرفان للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة وإفادتي بتوجيهاتهم.

ولا يفوتني أن أقدم شكري الجزيل إلى المسؤولين في جامعة الملك عبدالعزيز، وأخص منهم المسؤولين في عمادة الدراسات العليا وقسم الشريعة والدراسات الإسلامية، الذين ذللوا لي طريق العلم أسأل المولى -عز وجل- أن يجزيهم عني خير الجزاء، ويجعلهم دومًا منارة لطلاب العلم وقاصديه.

أساليب القرآن في التعامل مع المُذنب

جمانة بنت طلال محجوب

المُستخلص

إنّ الذنب من طبيعة البشر، ودعوة المذنبين إلى التوبة والإصلاح، بالنصح والإرشاد واجب شرعي، وهو حق لله أولًا، ثم حق لهذا المذنب، وقد تباينت أساليب الناس في التعامل مع المذنبين، ما بين متعسف ومتساهل؛ لذا كان الواجب بيان الأسلوب الصحيح والطريقة المُثلى في هذا الباب، ولا أعلم بما يُصلح العباد، إلا ربّ العباد، فكان كلامه سبحانه هو المنهل، ومن وحيه نستقي الطريقة والأسلوب الأمثل، ولهذا كان هذا البحث الذي جعلت عنوانه: (أساليب القرآن في التعامل مع المُذنب). وعنيت في هذا البحث ببيان الأسس وطريقة القرآن في التعامل مع المُذنب، رغبة في خدمة كتاب الله، وإسهامًا في التغيير والإصلاح. ومما تميزت به هذه الدراسة عن غيرها كونها دراسة تفسيرية متخصصة، وقد اتبعت فيها المنهج الاستقرائي في جمع النصوص محل الدراسة، والمنهج التحليلي في الإيضاح والبيان، مشيرة إلى أهم الأسس القرآنية في التعامل مع المُذنبين، وقد قسمت البحث إلى تمهيد وثلاثة فصول، ففي التمهيد: عرفت بالأساليب وعرفت بالمذنب، ثم في الفصل الأول بينت أهم الأسباب الموقعة في الذنب في خمسة مباحث وهي الجهل واتباع الهوى والشيطان والغفلة والتقليد. أما الفصل الثاني فجعلته لبيان طرق القرآن في التعامل مع المُذنب بذكر أهم الأساليب المتعلقة بذلك وهي كثيرة ومتنوعة. أما الفصل الثالث: فقد أشرت فيه إلى أهم الأسس القرآنية في التعامل مع المُذنبين وهي ثلاثة مباحث، الأول: الرحمة والأخلاق الحسنة، والثاني: التثبت وحسن الظن، والثالث: العدل والإنصاف. وقد خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: تنوع أساليب القرآن وطرقه في التعامل مع المذنبين، ما بين ترقيق القلوب بالموعظة أو إيقاع العقوبة بالحدود مما جعلها صالحة لكل زمان ومكان، فعلى الموجهين اختيار الأنسب منها حسب كل مقام وطباع المذنبين، والتدرج في استخدامها لتحدث الأثر. ثم ختمت البحث بالفهارس العلمية المتنوعة والتوصيات.

Quran's Methods in Dealing with Sinners

Jomana Talal Mahjoub

Abstract

There is no doubt that sinning is a human nature, yet on the other hand it is a must according to Islamic teachings to guide sinners and give them advice by calling them to repentance and reformation. Such precept is important because it is Allah's right over his servants, and it is also considered a right among servants themselves. In dealing with sinners, people's methods vary from cruelty to extreme leniency, and it is crucial to present the right method to be applied in this regard. And surely, none has the best knowledge on what is suitable for people except their Lord. For that reason, His revelation is considered the source from which we obtain the best methods in dealing with those who commit sins. The purpose of this study entitled "**Quran's Methods in Dealing with Sinners**" is to present Quranic fundamentals in this regard which basically aims at serving the Holy Quran and contributing in reformation. Actually, what distinguishes this study from other studies, that it is a specialized explanatory one which follows two approaches to shed light on the most essential Quranic fundamentals in dealing with sinners: 1) inductive approach in collecting the studied texts 2) analytic approach in terms of explanation. This research paper is divided into three chapters along with the introduction. The introduction is dedicated to introducing the methods and the sinner. The first chapter reviews the main reasons leading to committing sins and it consists of five sections: ignorance, following desires, Satan, heedlessness, and imitation. As for the second chapter, it explains the most essential Quran's methods in dealing with sinners which are plenty and various in Quranic texts. The third chapter points at the main Quranic fundamentals in dealing with sinners and it is divided into three sections: 1) mercy and morals 2) investigation to ascertain the truth and holding onto a good thought 3) justice.

The study concludes that, methods of the Holy Quran in dealing with sinners range from preaching that softens hearts to fixing punishments for crossing Islamic boundaries which are valid for all times and places. It is important to know that because sinners' traits and the situations they are in differ, instructors should chose the most appropriate method in dealing with them and use these methods in a gradual manner for them to be more effective. Lastly, the research concludes with recommendations and various scientific indexes.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

نموذج إجازة الرسالة

شكر وتقدير ..... أ

المُستخلص ..... ب

Abstract ..... ج

فهرس الموضوعات ..... د

المقدمة ١

التمهيد: التعريف بعنوان البحث. ١٠

المبحث الأول: تعريف الأساليب ١٠

المطلب الأول: الأساليب لغة ١١

المطلب الثاني: الأساليب اصطلاحًا. ١١

المبحث الثاني: تعريف القرآن. ١٢

المطلب الأول: القرآن لغة. ١٣

المطلب الثاني: القرآن اصطلاحًا. ١٣

المبحث الثالث: تعريف المذنب. ١٥

المطلب الأول: المذنب لغة. ١٦

المطلب الثاني: المذنب اصطلاحًا ١٦

المطلب الثالث: ألفاظ ذات صلة بمعنى الذنب. ١٧

الفصل الأول: من أسباب الوقوع في الذنب. ٢٠

المبحث الأول: الجهل بالعاقبة. ٢٢

المبحث الثاني: اتباع الهوى. ٢٧

المبحث الثالث: وسوسة الشيطان واتباع خطواته ٣٢

المبحث الرابع: الغفلة ٣٧

المبحث الخامس: التقليد المذموم ٤١

الفصل الثاني: أساليب القرآن في التعامل مع المذنب ٤٤
المبحث الأول: أسلوب الموعظة. ٤٦
المطلب الأول: الموعظة المباشرة. ٤٩
المطلب الثاني:. التعريض بالموعظة ٥٤
المبحث الثاني: أسلوب التذكير. ٦٢
المطلب الأول: التذكير بالله وصفاته. ٦٣
المطلب الثاني: التذكير بالأسوة الحسنة. ٧٤
المطلب الثالث: التذكير بالتوبة. ٧٦
المطلب الرابع: التذكير ببيان العاقبة والعقوبة ٨٠
المطلب الخامس: التذكير بالموت والحساب ٨٦
المبحث الثالث: أسلوب الحوار. ٩٠
المطلب الأول: الحوار لأجل المعاتبة ٩٣
المطلب الثاني: الحوار لأجل المواجهة ١٠٠
المبحث الرابع: أسلوب التصحيح. ١٠٦
المطلب الأول: تصحيح المفاهيم ١٠٩
المطلب الثاني: التصحيح بتقديم البديل.. ..... ١١٦
المبحث الخامس: أسلوب التوجيه. ١١٩
المطلب الأول: التوجيه الأمر ١٢١
المطلب الثاني: التوجيه النهي ١٢٥
المطلب الثالث: التوجيه بالتحكيم. ١٢٨
المبحث السادس: أسلوب الزجر ١٣٣
المطلب الأول: الزجر بالتهديد ١٣٥
المطلب الثاني:. الزجر بالإعراض ١٣٨
المطلب الثالث:. الزجر بالهجر ١٤٢
المبحث السابع: أسلوب التأديب ١٤٥
المطلب الأول: التأديب بالكفارات ١٤٧
المطلب الثاني: التأديب بالضرب. ١٥١
المطلب الثالث: التأديب بالحدود ١٥٤
الفصل الثالث: من الأسس القرآنية في التعامل مع المُذنب. ١٥٩
المبحث الأول: الرحمة والأخلاق الحسنة. ١٦١
المطلب الأول: الرحمة. ١٦٣
المطلب الثاني: التحلي بالأخلاق الحسنة ١٦٦
المبحث الثاني: التثبت وحسن الظن. ١٦٨

المطلب الأول: التبيّن والتثبت. ١٧٠
المطلب الثاني: حسن الظن وعدم التجسس. ١٧٣
المبحث الثالث: العدل والإنصاف. ١٧٦
المطلب الأول: العدل عند المؤاخذة. ١٧٨
المطلب الثاني: الإنصاف بعد التوبة. ١٨٠
الخاتمة ١٨٣
فهرس المراجع. ١٨٥
فهرس الآيات القرآنية. ١٩٦
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة. ٢٠٠
فهرس الأعلام. ٢٠٢

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أدى الأمانة ونصح الأمة، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين..

.. أما بعد..

فإن الله تعالى قد خلق الخلق لعبادته قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[1]، وقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ }[2]، وأمر عباده بالتزام صراطه المستقيم، وحذّر من الانحراف والزيغ عن هذا الصراط، بل هدّد وتوعّد كل من خالف أوامره وأوامر نبيه صلى الله عليه وسلم وحاد عن منهجه فقال: { قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ }[3]، وقال: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

شَدِيدُ الْعِقَابِ }[1].

لكنّ الذنب والخطأ من طبيعة البشر، فقد قال صلى الله عليه وسلم: " كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ "[2]، وقال الله تعالى في الحديث القدسي " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ "[3]، فبيّنت هذه الأحاديث أنّ الوقوع في الذنب حاصل لا محالة، إلا أنّ من رحمة الله بخلقه ولطفه بهم، أن جعل لهم طريقا للعودة والرجوع إليه، وذلك بالتوبة والاستغفار، فقال: { وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا }[4]، وقال تعالى: { أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[5].

ودعوة المذنبين إلى التوبة والإصلاح، بالنصح والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو واجب شرعي، قال تعالى: { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[6] وهو حق لله أولًا، ثم حق لهذا المذنب، فقد ذم الله تعالى من ترك التناهي عن المنكرات وجعله من المعاصي والاعتداء، قال تعالى: {

---

(1) سورة الأنفال، الآية: ١٣.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، ح ٢٤٩٩، باب صفة القيامة والرقائق والورع، يُنظر: الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ٤ (دار إحياء التراث العربي – بيروت)، ٢٥٩، حسنه الألباني في النسخة المحققة لسنن الترمذي.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، ح ٢٧٤٩، كتاب التوبة، باب سقوط الذنب بالاستغفار، يُنظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٤ (دار إحياء التراث العربي – بيروت)، ٢١٠٦.

(4) سورة النساء، الآية: ١١٠.

(5) سورة المائدة، الآية: ٧٤.

(6) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْـرَائِيلَ عَلَى لِسَـانِ دَاوُودَ وَعِيسَـى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَـوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }[1].

وإنّا لنلحظ في واقعنا اختلاف مواقف المصلحين والمقومين من إخوانهم المذنبين، وتفاوتهم في أساليب التقويم؛ بين إفراط وتفريط؛ فمنهم من أغلظ في الكلمة والأسلوب، فكان سببا للتنفير، بل وزيادة في الذنب أحيانا؛ ومنهم من تساهل وتهاون في الأسلوب، حتى تجرّأ النّاس على الذنوب وألفوها؛ وقليل هم الذين أحسنوا ووُفقوا إلى الأسلوب الأمثل، المستقى من الكتاب والسنة.

ومن هذا المنطلق، كان هذا البحث في أساليب القرآن في التعامل مع المذنب؛ فلا أعلم بما يُصلح العباد، إلا ربّ العباد، فكان كلامه سبحانه هو المنهل، ومن وحيه نستقي الطريقة والأسلوب الأمثل.

أهداف الموضوع:

- استنباط الأساليب القرآنية في التعامل مع المذنب.
- بيان رحمة الله بعباده وكيف خاطب المذنب.

أهمية الموضوع:

- حاجة المذنبين والمربين والمصلحين إلى المرجعية الصحيحة لتقويم المذنبين.
- تقريب النصوص القرآنية بين يدي الناس من مصلحين ومذنبين.

أسباب اختيار الموضوع:

- بيان أساليب القرآن في التعامل مع المذنب.
- المساهمة في إصلاح المذنبين بطريقة صحيحة سليمة.

---

[1] سورة المائدة، الآية: ٧٨ – ٧٩.

- المساهمة في خدمة القرآن الكريم، وإظهار منهجه التربوي الفريد ونشره بين الناس.

الدراسات السابقة:

١. محمد الأخرش، هدي النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة الأخطاء، رسالة علمية " ماجستير" في الحديث وعلومه، من كلية الآداب قسم الدراسات الإسلامية، بإشراف الدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل، الجامعة اليمنية بصنعاء، (نسخة الكترونية).

٢. علي نايف الشحود، منهاج الرسول ﷺ في تصحيح الأخطاء، باحث في القرآن والسنة (١٤٣٠هـ ٢٠٠٩ م، بهانج - دار المعمور، ط١).

٣. فاطمة السلمي، الهدي النبوي في التعامل مع المخالف، رسالة علمية "ماجستير " في الحديث وعلومه، من كلية الآداب قسم الدراسات الإسلامية، بإشراف الدكتور فالح الصغير، جامعة الملك عبد العزيز (١٤٣١هـ، ٢٠١٠ م).

الرسائل الثلاثة السابقة، كلها دراسة حديثية موضوعية، على خلاف بحثي فهو دراسة تفسيرية موضوعية.

٤. هيام فرحات، المنهج القرآني في علاج أخطاء المؤمنين في العهد النبوي، رسالة علمية " ماجستير " دراسة موضوعية، من كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن، بإشراف الدكتور عبد الكريم الدهشان، الجامعة الإسلامية بغزة (١٤٣٢هـ، ٢٠١١م).

لم تذكر الباحثة الأساليب على سبيل الاستقراء، وإنما على سبيل التمثيل، واقتصرت على ثلاثة نماذج من الصحابة في العهد النبوي، حاطب ابن أبي بلتعة، والمخزومية، ومسطح في حادثة الإفك، فقط.

٥. عبد الرحمن أحمد المدخلي، فقه التعامل مع الأخطاء على ضوء منهج السلف، لم أقف على درجته العلمية (نحو ٧٠ ص).

ليست دارسة تفسيرية، كما اكتفى الباحث بالتأصيل للموضوع، والاستدلال له، ولم يُعنَ بإبراز الأساليب؛ واكتفى بثلاثة منها فقط، وهذا خلاف لما سيكون عليه بحثي فهو دراسة تفسيرية موضوعية يتم فيها استقراء القرآن الكريم، واستنباط الأساليب من الآيات.

وعلى هذا فلا يزال الباب في هذا الموضوع مفتوحا للبحث فيه، لاسيما أنه لا توجد فيه دراسة تفسيرية مستقلة، كما أفادت بذلك المراكز العلمية المختصة بالبحوث العلمية، ولا شك أن هذه الدراسة ستستفيد مما سبق ذكره في بعض الجوانب، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

<u>وخطة البحث على النحو التالي:</u> تشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس:

المقدمة وتشتمل على: أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، ومنهج البحث، والخطة.

تمهيد: تعريف الأساليب وتعريف المذنب، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الأساليب. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأساليب لغة.

المطلب الثاني: الأساليب اصطلاحًا.

المبحث الثاني: تعريف المذنب. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المذنب لغة.

المطلب الثاني: المذنب اصطلاحًا.

الفصل الأول: من أسباب الوقوع في الذنب، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الجهل بالعاقبة.

المبحث الثاني: اتباع الهوى.

المبحث الثالث: تزيين الشيطان واتباع خطواته.

المبحث الرابع: الغفلة والركون للدنيا.

المبحث الخامس: التقليد المذموم.

الفصل الثاني: أساليب القرآن في التعامل مع المذنب. وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب الموعظة والبيان. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الموعظة المباشرة.

المطلب الثاني: التعريض بالموعظة.

المبحث الثاني: أسلوب التذكير. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التذكير بالله وصفاته.

المطلب الثاني: التذكير بالأسوة الحسنة.

المطلب الثالث: التذكير بالتوبة.

المطلب الرابع: التذكير ببيان العاقبة والعقوبة.

المطلب الخامس: التذكير بالموت والحساب.

المبحث الثالث: أسلوب الحوار. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحوار لأجل العتاب.

المطلب الثاني: الحوار لأجل المواجهة.

المبحث الرابع: أسلوب التصحيح. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تصحيح المفاهيم.

المطلب الثاني: التصحيح بتقديم البديل.

المبحث الخامس: أسلوب التوجيه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التوجيه بالأمر.

المطلب الثاني: التوجيه بالنهي.

المطلب الثالث: التوجيه بالتحكيم.

المبحث السادس: أسلوب الزجر. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الزجر بالتهديد.

المطلب الثاني: الزجر بالإعراض.

المطلب الثالث: الزجر بالهجر.

المبحث السابع: أسلوب التأديب. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التأديب بالكفارات.

المطلب الثاني: التأديب بالضرب.

المطلب الثالث: التأديب بالحدود.

الفصل الثالث: من أسس التعامل مع المذنب، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الرحمة والأخلاق الحسنة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرحمة.

المطلب الثاني: التحلي بالأخلاق الحسنة.

المبحث الثاني: التثبت وحسن الظن. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التبيّن والتثبت.

المطلب الثاني: حسن الظن وترك التجسس.

المبحث الثاني: العدل والإنصاف. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العدل عند المؤاخذة.

المطلب الثاني: الإنصاف بعد التوبة.

الخاتمة: وتحتوي على ملخص البحث، وأهم النتائج، والتوصيات.

الفهارس: وتشـــتمل على فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث النبوية، وفهرس الأعلام، وفهرس الموضوعات.

<u>منهج البحث:</u> استقرائي، استنباطي، تحليلي، **ومنهجي في كتابة البحث**:

- جمع الآيات القرآنية التي تناولت الموضوع، ودراستها دراسة موضوعية، من أمهات كتب التفسير.
- عزو الآيات القرآنية إلى سورها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية، ووضع ذلك في الهامش.

- تخريج الأحاديث بعزوها إلى مصـــادرها الأصـــلية من كتب الســـنة، فإن كان في الصـــحيحين أو أحدهما يُكتفى بهما، فإن لم يكن الحديث فيهما يُعزى إلى باقي الكتب الستة، ثم إلى باقي الكتب التسعة، ثم من باقي كتب السنة، مع بيان درجته ما أمكن.
- الاقتصـار في شـرح الآية على ما يبين الأسـاليب القرآنية، دون الاسـتطراد فيما يتعلق بالآية من فوائد وأحكام أخرى.
- إذا احتوت الآية على أكثر من أسلوب، تُثبت في الموضعين كل بما يناسبه، وقد يُقتصر على الموضع الأقوى دلالة، مع الاقتصار على موطن الشاهد.
- الالتزام بقواعد البحث العلمي، مع التوثيق حســـب الأصـــول المتبعة في دليل الجامعة للبحث العلمي.
- ذكر معلومات الكتاب كاملا عند أول موضـــع فقط على النحو التالي: المؤلف، **اســـم الكتاب**، التحقيق، رقم الطبعة إذا كانت غير الطبعة الأولى (مدينة النشر: الناشر، سنة النشـر)، (رقم الجزء/الصـفحة)؛ وعند تكراره يكون كالآتي: اسم المؤلف أو شـهرته، اسم الكتاب، **مرجع سابق**، (الجزء/ الصفحة).
- ما نُقل نصا دون تصرف، وُضع بين قوسين كالتالي ( ) ومرجعه في الهامش.
- ما تُصرف في نقله لا توضع له أقواس، ومرجعه في الهامش مسبوق بكلمة يُنظر.
- ترجمة الأعلام -باستثناء رجال الإسناد- عند أول ذكر لهم فقط؛ ترجمة موجزة.
- فهرسـت البحث فهرسـة كاملة، ففهرسـة للآيات مرتبة بترتيب سـور القرآن، وفهرسـة للأحاديث مرتبة أبجديا، وفهرسـة للأعلام مرتبة أبجديا، وفهرسـة للمصـادر والمراجع مرتبة أبجديا.
- تلخيص أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات في الخاتمة.

وختامًا، فما كان في هذه الرسالة من حُسنٍ وسدادٍ، فإنما هو توفيق من الله -سبحانه وتعالى -، فله الحمد والشكر، وما كان فيها من قصور، فمرده إلى قصر باعي، وقلة بضاعتي، والله أسأل أن يهديني الرشد والصواب، وأن يتقبل مني، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا.

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القرآن.

المبحث الثاني: تعريف الأساليب.

المبحث الثالث: تعريف المذنب.

المبحث الأول

تعريف الأساليب، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الأساليب لغةً.

المطلب الثاني: تعريف الأساليب اصطلاحًا.

أولًا: تعريف الأساليب لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: الأساليب في اللغة:

أساليب: (مصدر سَلَبَ)[١]، والمفرد أسلوب، وهو: الوجهُ والطّريق وَالْمذهب، وَيجمع أَساليب[٢]، (ويُقال للسَّطْر من النخيل أُسْلوبٌ) [٣]، (فكل شيء امتد على غير امتناع فهو أسلوب)[٤]، (وَيُقَال: أَخذ فلَان فِي أساليب من القَوْل أَي فنون مِنْهُ) [٥].

المطلب الثاني: الأساليب في الاصطلاح:

الأسلوب هو الضْربُ مِنَ النْظم والطريقةُ في اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير [٦].

---

(١) ابن منظور، محمد ابن مكرم جمال الدين، **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي (القاهرة: دار المعارف)، (٢٠٥٧/٣، ٢٠٥٨).

(٢) يُنظر: الهروي، محمد بن أحمد أبو منصور، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م) (٣٠٢/١٢)، ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، **مرجع سابق**، (٢٠٥٨/٣).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، **مرجع سابق**، (٢٠٥٨/٣).

(٤) الرازي، أحمد بن فارس، **مجمل اللغة**، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ)، (٤٧٠).

(٥) الأزدي، محمد بن الحسن بن دريد، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م) (٣٤٠).

(٦) يُنظر: الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٣ (القاهرة: مطبعة المدني، ١٤١٣هـ)،(٣٦٩)، الزرقاني، محمد، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق: فواز زمرلي (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـ) (٢٣٩/٢)، الشايب، أحمد، **الأسلوب**، ط١٢ (مصر: مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٣م)، (٤٤).

المبحث الثاني

تعريف القرآن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القرآن لغةً.

المطلب الثاني: القرآن اصطلاحًا.

ثانيًا: تعريف القرآن، لغة واصطلاحا.

القرآن في اللغة:

من قرأ قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُ ويَقْرُؤُهُ، قَرْءاً وقِراءَةً وقُرآناً، فَهُوَ مَقْرُوءٌ.

وَمعنى قُرْآن الْجمع، قرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممتُ بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: مَا قرأتْ هَذِه الناقةُ سَلًى قطُّ، إذا لم يضمّ رَحِمُها على الولَدِ.

وسُمي القرآن لأنه يجمع السُّوَرَ فيضمها. ومنه قوله تعالى: { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ }(١) أي جمعه وقراءته، { فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ }(٢) أي قراءته(٣).

وقيل سُمي بذلك لجمعه الأحكام والقصص والأخبار والامثال وغير ذلك(٤).

القرآن في الاصطلاح:

هو كلام الله تعالى المعجز المنزل – غير المخلوق - على محمد صلّى الله عليه وسلم بلفظه العربي المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف المحفوظٌ في الصدورِ المتواتر من حيث النقل بلا شبهة(٥).

---

(١) سورة القيامة، الآية: ١٧.

(٢) سورة القيامة، الآية: ١٨.

(٣) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، **مرجع سابق**، (١/ ١٢٨)، والهروي، تهذيب اللغة، **مرجع سابق**، (٩/ ٢٠٩)، الفارابي، إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: عطار، أحمد عبد الغفور، ط٤، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ) (١/ ٦٥)، وإبراهيم الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ) (١/ ١٧٠).

(٤) يُنظر: الرازي، أحمد بن فارس القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، (٥/ ٧٩).

(٥) يُنظر: بدر الدين محمد الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد إبراهيم، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ) (١/ ٢٢٩)، والزرقاني، مناهل العرفان للزرقاني، **مرجع سابق**، (١/ ٢١)، وعلي الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق: جماعة بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ)، (ص: ١٧٤)، وأبو الحسن علي المرسي، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢١هـ)، (٦/ ٤٦٩)، ومحمد الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (دار الهداية)، (١/ ٣٦٣)، وحسن المالكي، **الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع**، (تونس: مطبعة النهضة، ١٩٢٨م)، (١/ ٤٥)، عبد النبي نكري، **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، (بيروت: دار الكتب العلمية،

فخرج بالمُنزَّل على النبي صلى الله عليه وسلم، ما نزل على غير النبي صلى الله عليه وسلم كالتوراة والإنجيل، وما لم ينزل كالحديث النبوي وكلام الناس[١].

وخرج بالمتواتر جميع ما سوى القرآن، من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة[٢].

كما خرج بالمتعبد بتلاوته، الأحاديث القدسية إذا تواترت[٣].

١٤٢١هـ)، (٣/ ٤٨)، ومحمد البركتي، **التعريفات الفقهية**، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ)، (ص: ١٧٢)، وعلي الظفري، **الواضح في أصول الفقه**، تحقيق: عبد الله التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ)، (٢/ ٤٨٢).

(١) يُنظر: الزرقاني، مناهل العرفان، **مرجع سابق**، (١/ ٢١).

(٢) يُنظر: المرجع السابق (١/ ٢٢).

(٣) يُنظر: المرجع السابق (١/ ٢٢).

المبحث الثالث

تعريف المذنب، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المذنب لغة.

المطلب الثاني: المذنب اصطلاحًا.

المطلب الثالث: ألفاظ ذات صلة بالمعنى.

ثالثًا: تعريف المذنب لغة واصطلاحا

المطلب الأول: تعريف المذنب في اللغة:

حتى نصل إلى تعريف المُذنب الذي هو فاعل الذنْب، لابد من تعريف الذنْب أولًا.

الذَّنْب: مصدر من الفعل أَذْنَبَ، وهو (الإِثْمُ)(١) (والجُرْمُ)(٢) والمعصية)(٣)، ومنه الذَّنَبُ وهو مُؤَخَّرُ الشَّيْءِ(٤)، والذَّنوب الْحَظِّ وَالنَّصِيبِ (٥).

(والذَّنْبُ: ارْتِكَاب أَمرٍ غير مَشْرُوع)(٦).

فالَّذْنبُ بمعنى الجرم، من التأخر والدناءة، فمن أذنب وأجرم، فقد تأخر عن الصالحين الطائعين ودنى عنهم، وكذلك له حظ ونصيب من العذاب والعقاب، إلا أن يكون هناك ما يمنعه منه، من عدم تحقق الشروط وانتفاء الموانع.

المطلب الثاني: تعريف المذنب في الاصطلاح:

أكثر كتب الاصطلاح عرّفت الذنْب بمعانيه في اللغة، فقالوا بأنه الجُرْمُ(٧)، قال الله تعالى:

---

(١) الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط ٨ (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ) (٨٥).

(٢) الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، **مرجع سابق**، (١٢٩)، الرازي، معجم مقاييس اللغة، **مرجع سابق**، (٣٦١/٢).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، **مرجع سابق**، (١٥١٩/٢)، الهروي، تهذيب اللغة، **مرجع سابق**، (٣١٥ – ٣١٧).

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، **مرجع سابق**، (٣٦١/٢).

(٥) **المرجع السابق.**

(٦) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط** (دار الدعوة) (٣١٦).

(٧) يُنظر: اليمني، نشوان بن سعيد الحميرى، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق: حسين العمري ومطهر الأرياني ويوسف عبد الله (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٢٠ هـ)، (٢٢٩٧/٤).

{غافِرِ الذَّنْبِ}[١]، والإثم[٢]، قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}[٣]، ويستعمل في كل فعل تستوخم عاقبته، ولذلك سمي تبعة اعتبارا بما يحصل من عاقبته[٤]، وجميع التعريفات السابقة اعتمدت على المعنى اللغوي للذنب، وملخصها: أنه فعل الإثم والجرم الذي تتبعه العاقبة الوخيمة.

أما التهانوي[٥] فقد عرفه بقوله: (والذّنب عند أهل الشرع ارتكاب المكلّف أمرا غير مشروع)[٦]، وهذا التعريف أضبط من حيث النظر لماهية الفعل.

فالمذنبُ هو الذي ارتكب أمرا غير مشروع، تستوخم عاقبته

المطلب الثالث: ألفاظ ذات صلة بمعنى الذنب:

لقد وردت لفظة " الذنب " في الشرع في أكثر من موضع، ولها مرادفات كثيرة، من أهمها ما يلي:

أولاً: الجُرم:

الجرم من أحد مرادفات الذنب، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا

---

(١) سورة غافر، الآية: ٢.

(٢) يُنظر: سعدي أبو حبيب، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، ط٢(دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨ هـ) (١٣٩)، ويُنظر: أحمد بن محمد الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** (بيروت: المكتبة العلمية) (٢١٠/١) ويُنظر: المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن علي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، القاهرة: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، ١٤١٠هـ) (١٧١)

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٤) عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية** (دار الفضيلة)، (١٠٧/٢)، ويُنظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، **مرجع سابق**، (١٧١).

(٥) محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي: باحث هندي، له كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون) فرغ من تأليفه سنة ١١٥٨ هـ وكتاب (سبق الغايات في نسق الآيات)، يُنظر: الزركلي، خير الدين ابن محمود، **الأعلام**، ط١٥، (دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، (٢/ ٨٩).

(٦) التهانوي، محمد بن علي، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق: علي دحروج (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٦م)، (٨٢٧/١).

تُجْرِمُونَ﴾[1] قال الفرّاء[2]: (فعلي إثمي)[3]، وقال الطبري[4]: فعلي إثمي في افترائي، لا تؤاخذون بذنبي ولا إثمي، ولا أؤاخذ بذنبكم، وأنا بريء مما تذنبون وتأثمون بربكم[5].

وقيل إنّ بينهما فرقًا كما بيّن ذلك العسكري[6]، فقال: الفرق بينهما أن أصل الذنب الاتباع، فهو تبعة قبيح عمل العبد، أمّا الجرم فأصله: القطع، فهو القبيح الذي ينقطع به عن الواجب[7].

ثانياً: الإثم والخطيئة:

قال تعالى في كتابه: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾[8] فجاءت الخطيئة بمعنى الذنب، والإثم أنه ما لا يحل من المعصية، وفُرّق بينهما لأن "الخطيئة" تشمل العمد وغير العمد، أما "الإثم" لا يكون إلا من العمد، فيكون المعنى عند اجتماعهما: ومن يأتِ "خطيئة" على غير عمد منه لها أو "إثما" على عمد منه[9].

---

(١) سورة هود، الآية:٣٥.

(٢) يحيى ابن زياد ابن عبد الله الأسدي مولاهم الكوفي نزيل بغداد الفراء النحوي المشهور، أبو زكرياء، صدوق من التاسعة، كان أبرع الكوفيين في علمهم، قال أبو العباس: كتب الفراء لا يُوازيها كتاب. مات سنة سبع ومائتين، يُنظر: محمد بن الحسن الزبيدي، أبو بكر، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، (دار المعارف)، (١٣١، ١٣٣)، وأحمد ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوامة، (سوريا: دار الرشيد، ١٤٠٦هـ)، (٥٩٠).

(٣) يحيى ابن منظور الفراء، **معاني القرآن**، تحقيق: النجاتي والنجار والشلبي، (مصر)، (١٣/٢).

(٤) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، كان حافظا لكتاب الله عالما بالتفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك. له الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب التفسير لم يصنف أحد مثله. ألف في أصول الفقه وفروعه، وكان من الأئمة المجتهدين، لم يقلد أحدا فتفرد بمسائل حفظت عنه، توفي سنة عشر وثلاثمائة. يُنظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، (١١/ ١٦٥).

(٥) يُنظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ)، (٣٠٥/١٥ – ٣٠٦).

(٦) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبو هلال اللغوي العسكري: أثنى عليه أبو المظفر الأبيوردي، ووصفه بالعلم والعفة معا، من كتبه: كتاب جمهرة الأمثال، وكتاب معاني الأدب، وكتاب التبصرة، وكتاب المحاسن في تفسير القرآن، وكتاب الأوائل،و كتاب الفرق بين المعاني، وغيرها.ومن جملة من روى عنه أبو سعد السمّان الحافظ بالريّ، وأبو الغنائم ابن حماد المقرىء إملاء بالأهواز، وآخرون. يُنظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤ هـ)، (٩١٨/٢–٩٢٢).

(٧) يُنظر: الحسن العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، تحقيق: بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، (مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ) (٢٤٤).

(٨) سورة النساء، الآية:١١٢.

(٩) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (١٩٧/٩)

ثالثاً: المعصية:

قال تعالى-في حكايته عن فرعون-: ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴾[1] أي عصى فرعونُ موسى عليه السلام فيما أمر به من طاعة الله وخشيته(٢)، وهذا معنى الذنب كما عرفناه، فهي مرادفة له.

رابعًا: الوزر:

وهي من المرادفات لمصطلح الذنب، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يضلونهم بغير عِلْمٍ﴾[3] تكون لهم ذنوبهم التي قارفوها بتكذيبهم وكفرهم، وكذلك من ذنوب الذين يصدونهم عن سبيل الله[٤].

خامسًا: السوء:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾[5] وفسّر الطبري السوء هنا بمعنى الذنب[٦].

وخلاصة القول: أنّ جميع هذه الألفاظ مرادفة لمعنى الذنب.

وعلى هذا فإن مُراد البحث – الذي هو بعنوان أساليب القرآن في التعامل مع المُذنب - هو: الوقوف على طريقة وكيفية تعبير القرآن عن المعاني في التعامل مع المُذنب المكلف الذي فعل ما نهى الشارع عنه أو ترك ما أمر به على سبيل الإلزام، واستوجب هذا الفعل الإثم، والعقوبة المقررة له شرعًا، وذلك للاسترشاد بها واتباعها.

---

(١) سورة النازعات: الآية:٢١.

(٢) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٠٢/٢٤).

(٣) سورة النحل، من آية: ٢٥.

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (١٩٠/١٧).

(٥) سورة النساء، من آية: ١٧.

(٦) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٨٨/٨).

الفصل الأول: من أسباب الوقوع في الذنب،
وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الجهل بالعاقبة.

المبحث الثاني: اتباع الهوى.

المبحث الثالث: تزيين الشيطان واتباع خطواته.

المبحث الرابع: الغفلة والركون للدنيا.

المبحث الخامس: التقليد المذموم.

مدخل

إنّ مما يُعين على حُسن التعامل مع المذنب؛ معرفة الأسباب التي أوقعته في الذنب، فإنها تُعين على اختيار الأسلوب والطريقة الأمثل لمناصحته والإنكار عليه، ومعرفة المدخل المناسب لتوجيهه.

والأسباب التي تُوقع الإنسان في الذنب كثيرة ومتنوعة، وتختلف من شخص لآخر؛ إلا أننا سنتطرق إلى أبرزها وأشملها، حيث إنها أسباب عامة تحصل لكل الناس فتوقعهم في وحل الذنوب والمعاصي إن استسلموا لها ولم يُدافعوها.

المبحث الأول: الجهل بالعاقبة:

إنّ مسـببات الوقوع في الذنوب والمعاصـي كثيرة، ولا يخفى أن الجهل بعاقبة الذنب، من أهم الأسباب وأبرزها، إذ الجهل بما سيؤول إليه الإنسان من موت وحياة برزخية، واستبعاد قرب الموت ودنوه، وأنّه يأتي فجأة، وما يكون بعده من حساب وجزاء؛ يوقع الإنسان في الذنوب والمعاصـي وطول الأمل والركون إلى الدنيا والاغترار بها، ومن عَلِم العاقبة وتذكرها، فإنّه سيعظُم ذلك عنده وسيستعد للموت بالعمل الصالح والبعد عن الذنوب[1].

وقد يظنّ البعض أنّ الجهل بالعاقبة هو عدم العلم، وليس كذلك، قال تعالى: { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا }[2] والمراد في الآية هنا بيان أن المسلم إذا أقدم على الذنب مع العلم بكونه ذنبا ثم تاب منه توبة حقيقة فإن الله تعالى يقبل توبته [3]، فالجهالة في هذا الموضع ليست ضد العلم بل هي الإصرار ونسيان العاقبة وركوب الرأس[4]، ومنه قوله تعالى: { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٩) }[5]، وقوله:

---

(١) يُنظر: ابن قدامة، نجم الدين أحمد ابن عبد الرحمن، **مختصر منهاج القاصدين**، (دمشق: مكتبة دار البيان، ١٣٩٨هـ)، (٣٨٥).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧.

(٣) يُنظر: الرازي، محمد ابن عمر، **مفاتيح الغيب**، ط٣، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، (٧/١٣).

(٤) يُنظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية. (٤٣٠/٣).

(٥) سورة النحل، الآية: ١١٩.

{كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[1]، فالجهالة بمعناها العام تَعُمُّ عدم العلم و تعمُّ الجهل بالعاقبة، وذلك أن المتعمد لفعل الشيء الذي قد نهى عنه الشرع تشتمل معصيته تلك جهالة، إذ قد شابه بفعله فعل الجاهل الذي لم يتقدم له علم، وهذه الجهالة ليست بعذر في الشرع في الجملة[2].

وفي قوله {يعملون السوء بجهالة} الباء للسببية، أي يعملون السوء بسبب الجهالة؛ لأن ارتكاب الذنب مما يدعو إليه الجهل[3]، قال ابن أبي حاتم[4]: (ليس من جهالته أن يعلم حلالا وحراما، ولكن من جهالته حين دخل فيه، فإنّ من عمل سوءا خطا أو إثما أو عمدا فهو جاهل حتى ينزع منه)[5]، وقال أبو العالية[6]: (إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٤.

(٢) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٢٩٧/٢).

(٣) يُنظر: أبو السعود، محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي) (١٥٦/٢).

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرّازي الحنظلي الغطفاني، أبو محمد والمعروف بابن أبي حاتم، من كبار حفاظ الحديث. كان بحرًا في العلوم ومعرفة الرجال. له تصانيف، منها: الجرح والتعديل، التفسير، الرد على الجهمية، علل الحديث، المراسيل، وغيرها. مات سنة سبع وعشرين وثلاث مائة. يُنظر: ابن حبان، **الثقات**، بمراقبة: محمد خان، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣هـ)، (٩/ ١٣٧)، والذهبي، محمد ابن أحمد، **تذكرة الحفاظ**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، (٣ / ٣٤).

(٥) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، **تفسير القرآن العظيم**، ط٣، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩ هـ) (٨٩٧/٣).

(٦) هو رفيع بن مهران، أبو العالية الرياحي البصري مولى امرأة من بني رياح بن يربوع، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد موت النبي ﷺ بسنتين، ودخل على أبي بكر الصديق، وصلى خلف عمر بن الخطاب. وقد وثقه العجليّ وابن حبّان وغيرهم، روى عن: أنس بن مالك وعبد الله بن عباس، وغيرهم. توفي سنة: ٩٠هـ.
ينظر: ابن الأثير، علي ابن أبي الكرم، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي معوض وعادل أحمد، (دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ)، (٢/ ٢٩١)، والمزي، يوسف ابن عبد الرحمن، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار معروف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ)، (٩/ ٢١٤)، وابن حجر، أحمد ابن علي، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، مرجع سابق، (٢/ ٤٢٨).

يقولون: كل ذنب أصـــابه عبد فهو بجهالة) [1]، وقال قتادة[2]: (قوله: "للذين يعملون الســـوء بجهالة"، قال: اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شيء عصي به فهو جهالة، عمدا كان أو غيره)[3].

كما حكى الله عن أنبيائه خطابهم لأقوامهم ووصفهم إيّاهم بالجهالة، فمن ذلك ما حكاه عن يوسف عليه السلام أنه قال لإخوته: {هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ}[4]

فقد وصفهم الله بالعلم بقوله (علمتم) ثم وصفهم بالجهل بقوله (إذ أنتم جاهلون) فدلّ ذلك على أنّ المراد بجهلهم هنا أنهم جاهلون بقبح الذنب وعاقبته فلذلك أقدموا عليه، وكان فعلهم فعل الجهال، إذ كانوا حينئذ صبيانا طياشين[5].

ونحوه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أو أجهل أو يجهل علي»[6]، قال المباركفوري في شرحه لهذا الحديث وتعوذ النبي صلى الله عليه وسلم من الجهل: استعاذ بالله من أن نفعل

---

(1) أخرجه المناوي، عبد الرؤوف بن تاج، **الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي**، تحقيق: أحمد مجتبى، (الرياض: دار العاصمة)، (٤٦٥/٢).

(2) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، متهمٌ بالقول ببدعة القدر، كان يختم القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان، ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر، ختم كل ليلة، توفي ١١٧هـ، يقول قتادة عن نفسه: "ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئا". يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، **مرجع سابق**، (٥/ ٢٦٩،٢٧٠، ٢٧١،٢٧٦).

(3) أخرجه الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٨٩/٨).

(4) سورة يوسف، الآية: ٨٩.

(5) يُنظر: البيضـــاوي، عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأســـرار التـأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ)، (١٧٥/٣).

(6) أخرجه أبو داود، سليمان ابن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد عبد الحميد(مذيلة بأحكام الألباني)، (دار الفكر)، ح ٥٠٩٤، أبواب النوم، باب ما يقول إذا خرج من بيته، (٣٢٥/٤)، وقال الألباني: صـــحيح، وأخرجه الترمذي، محمد ابن عيسى، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون(مذيلة بأحكام الألباني)، (بيروت، دار إحياء التراث)، ح٣٤٢٧، أبواب الدعوات، (٤٩٠/٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صـــحيح، أخرجه النســـائي، أحمد ابن شـــعيب، **المجتبى من الســـنن**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة(مذيلة بأحكام الألباني)، ط٢(حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـــ)، ح٥٥٣٩، كتاب الإستعاذة، باب الإستعاذة من دعاء لا يســتجاب، (٢٨٥/٨)، وقال الألباني: صـــحيح، وأخرجه ابن ماجه، محمد ابن يزيد، **ســـنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد عبد الباقي(مذيلة بأحكام الألباني)، (بيروت: دار الفكر)، ح٣٨٨٤، كتاب الدعاء، باب ما يعو به الرجل إذا خرج من بيته، (١٢٧٨/٢)، وقال الألباني: صحيح.

بالناس فعل الجهال من الإيذاء وإيصال الضرر إليهم، أو يجهل علينا بصيغة المجهول أي يفعل الناس بنا أفعال الجهال من إيصال الضرر إلينا، وذلك كقول الشاعر: ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين [١].

وما كان للإنسان أن يقع في الذنب إلا عند غلبة الشهوة على العقل والعلم، وإلا فإنّه لم يكن ليصدر عنه ذلك الذنب، إلا بعد أن ينقص ما في قلبه من العلم وقت مقارفته له، فيقدم عليه بسبب جهله بالله ومراقبته، وجهله بعقابه وعدم التدبر في العواقب - ولو كان متعمدا للذنب- فجهلوا بركوبهم ما ركبوا من معصية الله، وسفِهوا بذلك[٢].

فإنّ كل من وقع في ذنب فهو جاهل بمقدار ما فاته من الثواب وما استحقه من العقاب، وجاهل بمدى عاقبة فعله _ وإن علم أن عاقبة ذلك الفعل مذمومة _، وذلك لأنه آثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الآجل، ومن آثر القليل على الكثير قيل في العرف إنه جاهل، فإنّه وإن لم يكن جاهلا بالحكم إلا أنه لما فعل ما يليق بالجهال أطلق عليه لفظ الجاهل[٣].

كما يُستخدم وصف الجهالة عند ذمّ فاعل على فعله فيُقال: يا جاهل لِمَ فعلت كذا وكذا، وذلك لأنّه لم يستعمل ما معه من العلم، فإطلاق اسم الجاهل على العاصي لربه، أنه لو استعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب لما أقدم على الذنب، فلما لم يستعمل ذلك العلم صار كأنه لا علم له، فلذلك سُمي جاهلا، سواء أتى بها الإنسان مع العلم بكونها معصية أو مع الجهل بذلك[٤]،

---

(١) يُنظر: المباركفوري، محمد ابن عبد الرحمن، **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**، (بيروت: دار الكتب العلمية)، (٢٧٢/٩)،

(٢) يُنظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ)، (٤٥١)، ويُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٢٨٣/٢٠)، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **مرجع سابق**، (٢٤٤/٣)، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣١٦/١٧).

(٣) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق** (٧/١٣).

(٤) يُنظر: **المرجع السابق**، (٦/١٠ – ٧).

(فالْجاهِلونَ هم الذين لا يراعون حدود الله تعالى ونواهيه)[1]. قال ابن القيم[2] –رحمه الله-: (إنّ عدم العلم بالحق النافع، وعدم العمل بموجبه ومقتضاه، كلاهما جهل لغة وعرفا وشرعا وحقيقة، وسمي عدم مراعاة العلم جهلا، لأنه لم ينتفع به، فنزل منزلة الجهل، ولجهله بسوء ما تجني عواقب فعله)[3].

(فإن العلم والعقل يدعو إلى تقديم أعظم المصلحتين وأعظم اللذتين، ويؤثر ما كان محمود العاقبة، فمن آثر لذة قليلة منغصة، على لذات متتابعات وشهوات متنوعات في جنات النعيم، فمن أجهل منه؟!)[4].

ورُوي عن مسروق[5] أنّه قال: (بِحَسْبِ الرجل من العلم أن يخشى الله عز وجل وبحسب الرجل من الجهل أن يعجب بعلمه)[6]، فبيّن أنّ العلم هو الامتثال بالخشية من الله والتزام حدوده، وأنّ الجهل عصيانه بالعُجب.

---

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٢٤٢/٣).

(2) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية ولازمه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق. أخذ عنه العلم خلق كثير، وألّف تصانيف كثيرة منها: إعلام الموقعين عن رب العالمين، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، نزهة المشتاقين وروضة المحبين. توفي سنة: ٧٥١هـ. ينظر: عبد الرحمن الحنبلي، **ذيل طبقات الحنابلة**، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥ هـ)، (١٧١/٥).

(3) ابن قيم الجوزية، ممد بن أبي بكر، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: البغدادي، ط٣، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ) (٤٦٧/١).

(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٣٩٧).

(5) هو مسروق بن الأجدع وهو ابن عبد الرحمن بن مالك بن نمير الهمداني الوادعي، كنيته أبو عائشة، تابعي، ثقة، روى عن: أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وغيرهم، روى عنه: أبو إسحاق الهمداني والشعبى والنخعي، وغيرهم، توفي سنة: اثنتين أو ثلاث وستين. يُنظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، **مرجع سابق**، (٣٩٦/٨ – ٣٩٧)، وابن حبان، الثقات، **مرجع سابق**، (٥/ ٤٥٦)، والسيوطي، طبقات الحفاظ، **مرجع سابق**، (٢١).

(6) رواه عنه أحمد بن حنبل، **الزهد**، تحقيق: يحيى بن محمد، ط٢، (دار ابن رجب، ٢٠٠٣م) (٥٧٩/١).

فالقلب يموت بالجهل المطلق ويمرض بنوع من الجهل وشـــفاؤه بالعلم[1]، فالقلوب (لمّا لم تحس بالعلم والإيمان، ولم تتحرك له: كانت ميتة حقيقة، وليس هذا تشبيها لموتها بموت البدن، بل ذلك موت القلب والروح)[2] فيزداد غرقًا في أوحال الذنوب والمعاصـــي، فعلى الإنســـان أن يدفع عن نفسه الجهل بالعلم والعمل والامتثال، لئلا يُطمس على قلبه بكثرة الذنوب والآثام فيموت قلبه، ويحول بينه وبين ربّه، ويكون أبعد ما يكون عن الهداية والتوفيق.

(١) يُنظر: ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن قاســـم، (المدينة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ) (٩٤/١٠).

(٢) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، **مرجع سابق**، (٢٤٥/٣).

المبحث الثاني: اتباع الهوى:

لم يرد اتباع الهوى في القرآن إلا على سبيل الذمّ، وقد بيّن الله تعالى أنّ الهوى سبب للوقوع في الذنوب، قال تعالى: { فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [١] وقال تعالى: { وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ } [٢]فإن تركهم اتباع الحق إنما هو لمجرد اتباع أهوائهم وآراء قلوبهم وما يستحسنونه ويحببه لهم الشيطان، وأنه لا حجة لهم عليه، فهل أحد أضل ممن هذا وصفه ؟[٣].

كما قال تعالى: { بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْواءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ } [٤] فإنهم ليس لهم حجة ولا معذرة فيما فعلوا من شركهم مع الله تعالى، إنما هو اتباع أهوائهم جهالة وشهوة وقصدا لأمر دنياهم، فما أوقعهم في ذلك إلا اتباع الهوى[٥].

---

(١) سورة القصص، الآية:٥٠.

(٢) سورة القمر، الآية: ٣.

(٣) يُنظر: القرطبي، محمد ابن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أطيفش والبردوني، ط٢ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ)، (٢٩٥/١٣)، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، ط٢ (دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ)، (٤٧٥/٧)، السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق** (ص: ٦١٨).

(٤) سورة الروم، الآية: ٢٩.

(٥) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٣٣٦/٤).

بل بلغ الحال ببعض الناس أن فاق مجرد اتباع هواه في بعض ما يشـتهيه، إلى أن جعله إلها لـه؛ فإنّ (الهوى إله يعبد من دون الله)(١)، قال تعالى: { أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣ } (٢) فإنّه يطيع هواه طاعة كطاعة الإله، فلا يهوى شـيئا إلا اتبعه(٣)، وجعل هواه إلها لنفسـه من غير أن يلاحظ، وبنى عليه أمر دينه معرضـا عن اسـتماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية(٤).

إنّ الواجب الذي يلزم العمل به، هو أن يكون جميع أفعال المكلف مطابقة لما أمره به معبوده جل وعلا، فإذا كانت جميع أفعاله تابعة لما يهواه، فقد صـرف جميع ما يسـتحقه عليه خالقه من العبادة والطاعة إلى هواه، وإذن فكونه اتخذ إلهه هواه في غاية الوضوح(٥).

وزاد بأنه ما لهم من ناصرين ينصرونهم حين تحق عليهم كلمة العذاب، وتنقطع بهم الوصل والأسباب يوم القيامة(٦).

كثير من المُضـلّين الذين يوقعون الناس في الذنوب والآثام، إنّما هم المتبعون لأهوائهم، قال تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} (٧) فالباء في بأهوائهم للسببية، أي يضلون بسبب

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣٥/١٣).

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٤٣.

(٣) يُنظر: الشـوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، (دمشـق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب). (٩٠/٤)، ونحوه في: العز بن عبد السـلام، عزالدين بن عبد العزيز، **تفسـير القرآن**، تحقيق: عبد الله الوهبي، (بيروت: دار بن حزم، ١٤١٦هـ)، (٤٢٦/٢).

(٤) يُنظر: أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢٢١/٦)

(٥) يُنظر: الشـنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، **أضـواء البيان في إيضـاح القرآن بالقرآن**، (بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، (٥٨/٦).

(٦) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ٦٤٠).

(٧) سورة الأنعام، الآية: ١١٩.

أهوائهم[١]، إذ اتباع الهوى من أسباب الضلالة والوقوع في الذنب، فإنّ المتأمل لمن يتبعون أهواءهم يجد أنّ دعوتهم ليست مبنية على برهان، ولا لهم حجة شرعية، وإنما شُبَهٌ تُزينها أهواءهم الفاسدة، وآراءهم القاصرة[٢].

وقد تكرر بيان هذا المعنى في غير السياق السابق في أكثر من موضع، قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [٣]، وقال تعالى: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [٤] فمهما استحسن من شيء ورآه حسنا في هوى نفسه، كان دينه ومذهبه [٥] (ضارباً بالعقل والشرع عرض الحائط فلا يلتفت إليهما ولا يستمع الى ندائهما)[٦].

قال قتادة: (قوله: أرأيت من اتخذ إلهه هواه، والله لكلما هوي شيئا ركبه وكلما اشتهى شيئا أتاه لا يحجزه، عن ذلك ورع ولا تقوى)[٧].

إن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلا والباطل حقا، وإما أن يعرف

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، محمد الطاهر ابن محمد، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، (٨-أ/٣٦).

(٢) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ٢٧١).

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٨.

(٥) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**،(١١٣/٦).

(٦) الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ط٥، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ)، (٣٤/٥ – ٣٥).

(٧) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٢٧٠٠/٨).

الحق ويتركه لأجل هواه[١]، لذلك نهى الله عن اتباع الهوى فقال: { فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (١٣٥) } [٢].

إنّ حالة المتبع لهواه، متفلت النفس من كل المعايير الثابتة والمقاييس المعلومة، والموازين المضبوطة، خاضعا لهواه، وتحكم شهواته وتتعبد ذاته، فلا يخضع لميزان، ولا يعترف بحد، ولا يقتنع بمنطق، متى اعترض هواه الطاغي الذي جعل منه إلها يعبد ويطاع، ولو كان ظالما متمردا بعيدا عن الحق عادلا عن الصواب[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: (إن اتباع الهوى يطمس نور العقل، ويعمي بصيرة القلب، ويصد عن اتباع الحق، ويضل عن الطريق المستقيم، فلا تحصل بصيرة العبرة معه البتة، والعبد إذا اتبع هواه فسد رأيه ونظره، فأرته نفسه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، فالتبس عليه الحق بالباطل، فأنى له الانتفاع بالتذكر، أو بالتفكر، أو بالعظة؟)[٤].

لذلك جاء تحذير القرآن الشديد من اتباع الهوى، وبيان عاقبته وما يؤول إليه، كما شبه المُتبع لهواه بالكلب، لميله إلى السفالة وخلوده إلى الأرض[٥] فقال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ

---

(١) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ٢٠٩).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

(٣) يُنظر: الشاربي، سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط١٧، (بيروت- القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢هـ)، (٢٥٦٦/٥).

(٤) ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، **مرجع سابق**، (٤٤٧/١ – ٤٤٨).

(٥) يُنظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **مرجع سابق**، (٤٢/٣).

إِلَى الْـأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُـهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُـصِ الْقَصَـصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)} [١] فإنه فعل ما يقتضـي الخذلان، فأخلد إلى الأرض، إلى الشـهوات السـفلية، والمقاصـد الدنيوية، واتبع هواه وترك طاعة مولاه، {فمثله} في شـدة حرصـه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها، {*كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ* يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث} أي: لا يزال لاهثا في كل حال، وهذا لا يزال حريصـا، حرصـا قاطعا قلبه، لا يسد فاقته شيء من الدنيا [٢].

كما أنّه محروم من التوفيق وهداية الله له، قال تعالى: { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَأَضَـلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلى سَـمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلى بَصَـرِهِ غِشـاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٣) }[٣] فإنه لا يهتدي لأنه خُتِم على سـمعه فلا يسـمع ما ينفعه، وعلى قلبه فلا يعي الخير، وعلى بصره غشاوة تمنعه من رؤية الحق، فقد سد الله عليه أبواب الهداية وفتح له أبواب الغواية، وما ظلمه الله ولكن هو الذي ظلم نفسـه وتسـبب لمنع رحمة الله عليه، أفلا تذكرون ما ينفعكم فتسلكونه وما يضركم فتجتنبونه[٤].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥ – ١٧٦.

(٢) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ٣٠٩).

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٤) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ٧٧٧).

قـال ابن القيم رحمـه اللـه: (إنّ اتبـاع الهوى يغلق عن العبد أبواب التوفيق ويفتح عليه أبواب الخذلان) [١]، فإنّ (من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق)[٢].

---

[١] ابن قيم الجوزية، محمد ابن أبي بكر، **روضـــة المحبين ونزهة المشـــتاقين**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ)، (ص: ٤٧٩).

[٢] **المرجع السابق.**

المبحث الثالث: وسوسة الشيطان واتباع خطواته:

أخبر سبحانه وتعالى بعداوة الشيطان للإنسان، وأمر باتخاذه عدوًا وحذّر منه قال تعالى: { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) } (١) وقال: { وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) } (٢) فهو عدو ظاهر العداوة، لا يأمر بالخير أصلا، ولا يأمر إلا بالقبيح (٣)،فإنّ العدو قد يأمر بالخير ولكنّ هذا العدو لا يأمر إلا بالشر، فهو مصدر الخواطر السيئة والمزين للمعاصي، فاحذروه ولا تتبعوه، فغاية ما يريده هو إفساد العقيدة وتحريف الشريعة (٤).

كما حذّرنا سبحانه وتعالى منه، وذكرّنا بما فعله مع أبينا آدم عليه السلام، فقال: { يَابَنِى آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) } (٥) أي لا يصرفنكم الشيطان عن الدين، كما فعل بأبويكم بالإخراج من الجنة (٦)، فاحذروا أن يفعل بكم

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٨ – ١٦٩.

(٣) يُنظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط٢، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ)، (٧٣/٢).

(٤) يُنظر: **المرجع السابق**، (٢٠٢/١)، (٧٣/٢).

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٦) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٨٦/٧).

الشـيطان كما فعل بأبيكم بأن يزين لكم العصـيان، ويدعوكم إليه، ويرغبكم فيه، فتنقادون له، فإنه لن يألو جهده عنكم، حتى يفتنكم، إن اسـتطاع، فعليكم أن تجعلوا الحذر منه في بالكم، وأن تلبسـوا لأمَةَ الحرب بينكم وبيْنه، وأن لا تغفُلوا عن المواضـع التي يدخل منها إليكم، فـــإنه يراقبكم على الدوام [١]، ويراكم هو وجنوده وأنتم لا ترونهم، وهذا هو وجه خطورة هذا العدو[٢].

إنّ غاية ما يريده الشـيطان هو الصـرف عن سـبيل الحق والهدى بالكلية[٣] قال تعالى: {ويُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)} [٤]، ومن رحمة الله أن بيّن لنا طرق الشيطان في الغواية والإضلال فقال تعالى: { الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ}[٥] قال ابن عباس[٦] رضي الله عنه: (الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل، وسوس، وإذا ذكر الله خنس)[٧] فإنه (يوسوس بالدعاء إلى طاعته في صدور الناس، حتى يستجاب له إلى ما دعا إليه من طاعته) [٨].

---

(١) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٢٨٦).

(٢) يُنظر: الجزائري، أيسر التفاسير، **مرجع سابق**، (١٦٢/٢).

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٥٠٧/٨).

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٠.

(٥) سورة الناس، الآية: ٥.

(٦) ابن عباس: هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشـم الهاشـمي، ابن عمّ رسـول الله ﷺ، يُكَنى أبا العبّاس، وُلد قبل الهجرة النبوية المباركة بثلاث سنين، وتوفي سنة: ٦٨هـــ، حدّث كثيرًا عن النبي ﷺ، ودعا له النبي ﷺ بالحكمة والبركة والعلم. كان حِبر الأمة، وفقيه العصـر، وإمام التفسـير، وسُـمّي البحر لغزارة علمه. ينظر: ابن ســعد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: زياد منصـــور، ط٢، (المدينـة المنورة: مكتبـة العلوم والحكم، ١٤٠٨هـــ)، (٢٧٨/٢)، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ القرطبي، **الاسْتيعاب في معرفة الأصْحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ م)، (٩٣٤/٣)، ابن حجر، أحمد بن عليّ، **الإصـــابة في تمييز الصّـــحابة**، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلى معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ)، (١٢١/٤).

(٧) أخرجه ابن أبي شـيبة، عبد الله ابن محمد، **الكتاب المصـنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال الحوت، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ)، ح٣٤٧٧٤، كتاب الزهد، كلام ابن عباس، (١٣٥/٧)، وابن الأثير، المبارك ابن محمد، **جامع الأصـول في أحاديث الرسـول**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط وبشـير عيون، (مكتبة الحلواني، ١٣٩٢هـ)، (٤٤٥/٢).

(٨) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٧٠٩/٢٤ – ٧١٠).

كما أخبرنا النبي صـلى الله عليه وسـلم بشـدّة ملازمته للإنسـان فقال: " إِنَّ الشَّـيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ"(١) فوسوسته في الإنسان بجريانه في دمه وعروقه وجميع أعضائه، متمكنًا من إغوائه وإضلاله تمكنا تاما إذ بلغ منه مبلغًا خفيًا(٢).

ومن طريقة الشيطان أيضا التزيين للمعصية والذنب قال تعالى: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ }(٣)، وقال: {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّـيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣)} (٤) فإنه حسـن لهم الأعمال التي يكرهها الله ويسـخطها منهم (٥)، فظنوا أن ما هم عليه حقًّا، فتمتعوا في باطلهم برهة من الزمان، ولعب بعقولهم الشيطان (٦).

كما أنه لا يُزين الباطل والذنب دفعة واحدة، بل يُزين الخطوات الموصـلة إليه، حتى يُوقعه في الذنب، لذلك نهى الله عن اتباع خطواته وحذّر منها قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّـيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّـيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}(٧)، لذلك قال تعالى

---

(١) أخرجه مسلم بن الحجاج، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم**، تحقيق: محمد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ح٢١٧٤، كتاب السـلام، باب يسـتحب لمن رئي خاليا بامرأة، (١٧١٢/٤).

(٢) يُنظر: المناوي، **فيض القدير شـرح الجامع الصـغير**، (٣٥٨/٢)، عبد المحسـن العباد، **شـرح سـنن أبي داود**، (١٥٧/٢٧).

(٣) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٤٣.

(٥) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٥٧/١١)

(٦) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٢٥٦)

(٧) سورة النور، الآية: ٢١.

مُحذرا من الزنا: { وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}(١) فالتحرز من المقاربة أضمن، فعند المقاربة من أسبابه لا يكون هناك ضمان، فنهى عن كل ما قد يؤدي إلى الاقتراب من الزنا، من خلوة وتبرج واختلاط...، كل ذلك حذرًا من خطوات الشيطان التي ترقق وتقرب من الأسباب المؤدية إلى الزنا(٢).

وقد أرشدنا الله إلى كيفية مواجهة ما يصيبنا من وسوسة الشيطان ونزغاته فقال تعالى: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)} (٣) فأمر بالاستعاذة بالله منه والحذر من طاعته وتذكر عداوته(٤).

كما أمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم في سورة الناس أن يستعيذ من وسوسة الشيطان، قال تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)} (٥) فأمره بالاستعاذة به سبحانه بأنّه رب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها، فبوسوسته يزيّن القبيح ويقبّح الحسن، ولكنه يخنس ويتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان به على دفعه(٦).

وتشرع الاستعاذة عند الشعور بأسباب يحتاج معها العبد إلى اللجوء إلى الله، وذلك عند موارد الشيطان على النفس بالخطرات، وعند القرب من أماكن شياطين الجن، كالنجاسات والخلوات

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.
(٢) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، (٢٢٢٤/٤).
(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٦.
(٤) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٧٥٠)
(٥) سورة الناس، الآية: ١ – ٦.
(٦) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٩٣٧ – ٩٣٨).

وبعض الفلوات الموحشـــة، وكذلك مجالس شـــياطين الإنس كمجالس الكفر والفجور وموارد الشبهات فيها، وكثير من الشبهات تدخلها الشياطين إلى النفوس وتسول لها حتى تستسيغها بعد نكرانها، وكم ممن يسمع باطلا ينكره ثم يعيده الشيطان عليه مرارا حتى تتشربه نفسه(١).

ثم ذكر حال المؤمنين إذا أصابهم شيء من نزغه ووسوسته، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّـهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّـيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِـرونَ } (٢) فعلامة المتقي من الغاوين، أنه إذا أذنب بفعل محرم أو ترك واجب - تذكر من أي باب أُتي، ومن أي مدخل دخل الشـيطان عليه، وتذكر ما أوجب الله عليه، وما عليه من لوازم الإيمان، فأبصر واستغفر الله تعالى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه خاسئا حسيرا، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه(٣).

قال ابن الجوزي(٤) رحمه اللَّه: (واعلم أن مثل إبليس مَعَ المتقي والمخلط، كرجل جالس بين يديه طعام، فمر به كلب فَقَالَ لَهُ أخسـأ فذهب، فمر بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أحسـاه لم يبرح، فالأول مثل المتقي يمر به الشَّيْطَان فيكفيه فِي طرده الذكر، والثاني مثل المخلط لا يفارقه الشَّيْطَان لمكان تخليطه، نعوذ بالله من الشَّيْطَان)(٥).

---

(١) يُنظر: عبد العزيز الطريفي، **التفسـير والبيان لأحكام القرآن**، (الرياض: ١٤٣٨هـ، دار المنهاج) (٢٢٢٩/٤).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٣) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٣١٣).

(٤) ابن الجَوْزي هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، أبو الفرج: مولده ووفاته ببغداد، ونسـبته إلى (مشـرعة الجوز) من محالها، علامة عصـره في التاريخ والحديث، توفي سـنة ٥٩٧ هـ، له نحو ثلاث مئة مصـنف، منها: (المدهش) و (الناسـخ والمنسـوخ) و (تلبيس إبليس). يُنظر: الذهبي، سـير أعلام النبلاء، **مرجع سابق**، (٣٦٥/٢١).

(٥) ابن الجوزي، عبد الرحمن ابن علي، **تلبيس إبليس**، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢١هـ)، (ص: ٣٥).

وبعد هذا البيان للسبب الأكبر للذنوب وكل شرور العالم، ألا وهو وسوسة الشيطان، فإنّه ينبغي على المؤمن الحذر منه، والتيقظ لحيله ومكائده، والاستعانة بالله على دفعه، والاستعاذة بالله من شره، وعدم الاقتراب من خطواته وسبله، فإنها سلسلة، تجر بعضها بعضا، ومن وقع في أولى خطواته ولم يستبصر ويتيقظ، فإنه سينحدر في دركاته.

المبحث الرابع: الغفلة:

قد يغفل الإنسان عما خُلِقَ له، فيلهو بالدنيا ويرْكن إليها، ويشتغل بتناول الشهوات، وينسى التفكر في الحساب والقيامة، وينشغل عن الاستعداد والتأهب لها، جهلا منه بما هو ملاقيه فيها من عظيم البلاء، وشديد الأهوال [١].

فإذا قامت القيامة { فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ } [٢] اعترفوا بغفلتهم وأنهم ما عملوا لهذا اليوم ما ينجيهم من شدائده، بل ظلموا أنفسهم بالمعاصي والذنوب[٣].

وقد أخبر الله تعالى بأنّ الغفلة من أسباب الوقوع في الذنب، قال تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ }[٤] فبسبب غفلتهم وعدم تفكرهم في الآيات التي أُقيمت حجة على ما هم فيه من الباطل، وما سيؤول إليه من جزاء وعقاب، فعلوا ما فعلوا[٥].

لذلك لم ترد الغفلة في القرآن إلا على سبيل الذم، من ذلك قوله تعالى: { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٤٠٩/١٨)، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (٥١٨).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٧.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٥٣٥/١٨).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٥) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (١١٥/١٣)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢٧٢/٣).

أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }[1] لأنهم (الكاملون في الغفلة)،[2] (الذين غفلوا عن أنفع الأشياء، غفلوا عن الإيمان بالله وطاعته وذكره، خلقت لهم الأفئدة والأسماع والأبصار، لتكون عونا لهم على القيام بأوامر الله وحقوقه، فاستعانوا بها على ضد هذا المقصود، فهؤلاء حقيقون بأن يكونوا ممن ذرأ الله لجهنم وخلقهم لها، فخلقهم للنار، وبأعمال أهلها يعملون)[3].

فإنّ الأنعام لم تغفل عما هي مستعملة فيه، أما الغافل فقد غفل عما خُلِق له، فكانوا أضلّ من الأنعام[4].

وقد بيّن الله تعالى أن غفلة القلب واتباع الهوى سبب رئيسي لانفراط عقد الإنسان ودينه قال تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}[5] فمن كان من أهل الغفلة وحاكمه الهوى كان أمره فرطاً[6].

قال ابن القيم: (فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصدأه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه، فإذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه، فلا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **مرجع سابق**، (٤٣/٣).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (٣٠٩).

(٤) يُنظر: **المرجع السابق.**

(٥) سورة الكهف، الآية: ٢٨

(٦) يُنظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق سيد إبراهيم، ط٣، (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٩م)، (ص: ٤٠ – ٤١).

يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً، وهذا أعظم عقوبات القلب، وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره) [١].

وليس للإنسان بُدٌ من سِنة الغفلة ورقاد الهوى، فليس أحد معصوم منهما، ولكن ليكن خفيف النوم، سريع العود واليقظة والتذكر[٢]، فقد حذّر الله من الغفلة وأمر بالتذكر وكثرة الذكر فقال تعالى: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ}[٣] فلم يكن الأمر بمجرد الذكر، بل الإكثار من ذكر الله آناء الليل والنهار، خصوصا طرفي النهار، على أن يكون القلب خالصًا خاشعًا متضرعًا، متذللًا ساكنًا، بأدب ووقار، وإقبال، نافضًا عن قلبه الغفلة واللهو، فإن الله لا يستجيب الدعاء من قلب غافل لاه[٤].

كما أنّ الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر والحرص على صحبة الذاكرين اليقظين، بل ونهاه عن الالتفات عنهم، كما نهاه عن طاعة الغافلين اللاهين ومصاحبتهم {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [٥] فإنّ من مداخل الشيطان على العبد، مدخل الغفلة، وإنّ الذاكر في حصن الذكر وحمايته، فمتى غفل، فتح باب الحصن فولجه العدو، فيعسر عليه أو يصعب إخراجه[٦].

---

(١) ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب، **مرجع سابق**، (٤٠ – ٤١).
(٢) يُنظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **الفوائد**، (بيروت: دار الكتاب العربي)، (٤١).
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.
(٤) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٣١٤).
(٥) سورة الكهف، الآية: ٢٨.
(٦) يُنظر: ابن القيم، الفوائد، **مرجع سابق**، (١٩١).

قال ابن القيم رحمه الله: (فوقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضّنْك في العذاب الأليم، وهو يمرّ أسرع من مرّ السحاب، فما كان من وقته لله وبالله، فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته، وإن عاش فيه عيش البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته)[1].

وهذا وإن كان أمرا لنبيه صلى الله عليه وسلم، فهو أمر لأمته كذلك، ليقتدوا به ويستنوا بسنته، بل نحن أولى بالأمر منه، فقلبه صلى الله عليه وسلم أتقى القلوب وأنقاها، وأعرفها بالله وأخشاها، وقلوبنا بحاجة إلى الرعاية والانتباه أكثر منه صلى الله عليه وسلم. اللهم إنّا نعوذ بك أن نكون من الغافلين.

(1) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **الداء والدواء**، (بيروت: دار الكتب العلمية)، (٣٥٨ – ٣٥٩).

المبحث الخامس: التقليد المذموم:

إن التقليد غالبًا ما يُقصد به التقليد الممنوع المذموم، الذي أردى الكثير في وحل الذنوب والشهوات، بل وكان تبرير المشركين لشركهم، تقليدهم لآبائهم؛ إذ إنّ المُقلد معطل لنظره عن النظر في أدلة الحق، فصار كالأعمى الذي يسير خلف سائقه بلا هداية (١).

وقد ورد التقليد في القرآن في مواطن عديدة، غالبها في حكاية أقوال الكافرين، واحتجاجهم على كفرهم بما وجدوا آباءهم وكبراءهم عليه، فاتبعوهم بلا حجة، قال تعالى: { قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ }(٢) وقال: { قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ }(٣)، وقال تعالى: { بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ }(٤)، ولقد ذم الله عليهم تقليدهم هذا، فقال تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ }(٥) وبيّن الله حمقهم أن بلغ بهم التقليد أن أعمى بصائرهم عن الحق، فإنهم رغم جهل آبائهم في أمر الدين، وعدم اهتدائهم إلى الطريق الحق، اتبعوهم وساروا على طريقتهم (٦).

وقد زجر تعالى قبل هذه الآية { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ .. } عن اتباع خطوات الشيطان،

---

(١) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢١١/٢).
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٥٣.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٧٤.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ٢٢ – ٢٣.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.
(٦) يُنظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **مرجع سابق**، (١١٩/١).

قال تعالى: { يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }(١) وذلك تنبيها على أنه لا فرق بين متابعة وساوس الشيطان، وبين متابعة التقليد، وفيه أقوى دليل على وجوب النظر والاستدلال، وترك اتباع الغير بلا تفكر وتعقل ونظر(٢).

كما أنهم ظنوا أنّ دعوة الأنبياء – وهي الحق - صارفة وصادة لهم عما هم فيه من الشرك(٣) فقالوا: { أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ }(٤)، فاكتفوا بتقليدهم الأعمى عن سماع الحجة وقبول الحق، إذ إنّ احتجاجهم هذا ليس المقصود به اتباع الحق والهدى، وإنما هو محض تعصب لما هم عليه من الباطل، وذلك أن كل رسول يجيبهم بقوله { قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ }(٥) أي: فهل تتبعوني لأجل الهدى؟ { قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ }(٦) فعلم بهذا، أنهم ما أرادوا اتباع الحق والهدى، وإنما قصدهم اتباع الباطل والهوى تقليدًا لآبائهم (٧).

بل بلغ بهم الأمر من العمى أن جعلوا تقليدهم حجة ومبررا لفواحشهم، بل نسبوها لله تعالى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٨ – ١٦٩.
(٢) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (١٨٩/٥).
(٣) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (٣٧١).
(٤) سورة يونس، الآية: ٧٨.
(٥) سورة الزخرف، الآية: ٢٤.
(٦) سورة الزخرف، الآية: ٢٤.
(٧) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (٧٦٤).

افتراء عليه[1]، قال تعالى: { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }[2].

وهذه الآيات وأمثالها من أقوى الدلائل على فساد التقليد في الجملة، خاصة في أصول الإيمان، ووجوب النظر والاستدلال والاجتهاد لمن يقدر على ذلك.[3]

فليحذر الإنسان أن يقع في شباك التقليد، وليتحقق مما يفعله هل له فيه من الشرع مستند أم أنه مقلدٌ لمجتمعه ومن حوله؟ فإن ذلك سيجرّه إلى مآلات خطيرة، ولنا في السابقين عبرة.

---

(١) يُنظر: أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢٢٣/٣).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

(٣) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٥١٠/٢٤)، ويُنظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **مرجع سابق**، (١١٩/١).

الفصل الثاني: أساليب القرآن في التعامل مع المذنب، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب الموعظة.

المبحث الثاني: أسلوب التذكير.

المبحث الثالث: أسلوب الحوار.

المبحث الرابع: أسلوب التصحيح.

المبحث الخامس: أسلوب التوجيه.

المبحث السادس: أسلوب الزجر.

المبحث السابع: أسلوب التأديب.

مدخل

أنزل الله تعالى القرآن لهداية الناس، وجعله منهج حياة متكامل، فجاء بأوامرٍ ونواهٍ، كما جاء بتوجيهات وأساليب في التعامل مع من خالف أوامره وحدوده من المذنبين.

ولا شك أنّه لا أعلم بما يُصلح العباد ويُقومهم من الذي خلقهم؛ لذلك كان استنباط الأساليب في التعامل مع المذنبين من القرآن هو خير طريقة وخير منهج في التصحيح والتقويم.

واستقاء المنهج من القرآن له بالغ الأثر على الإنسان، فإنّه بذلك ينال بركة التعبد بكلام الله، واتخاذه منهجًا يعيش به، الذي له أثره في مضاعفة الأجر والثواب، كما أن له أثره في التوفيق الرباني والإعانة(١).

(١) يُنظر: محمد الدويش، **التربية النبوية**، (الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، ١٤٣٧هـ)، (٣٩٢).

المبحث الأول:

أسلوب الموعظة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الموعظة المباشرة.

المطلب الثاني: التعريض بالموعظة.

مدخل

لقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم باستخدام الموعظة كأحد أساليب الدعوة العامة، التي عادة ما تُثمر مع عموم المدعويين، الذي إذا ذُكر بأمر الله امتثل، وإذا رُغب وحُبب في الطاعة أجاب، وإذا حُذر من المعصية وذُكر بعقاب الله خاف وامتنع، على خلاف المعاند أو المجادل أو المُصرّ، فإنّ الموعظة الحسنة تكفي المذنب العامي عبرة وإقناعا وتنفعه[١]، فقال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}[٢] والموعظة الحسنة هي مواعظ القرآن، والدعوة بالترغيب والترهيب[٣]، وبيان ما تشتمل عليه الأوامر من المصالح، وما تشتمل عليه النواهي من المضار، أو بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به، أو بيان ما أعد الله للطائعين وما أعد للعاصين[٤].

كما أمره بوعظ قومه بل وأمره بأن يُبالغ في نصحهم ووعظهم بقدر ما يظن أنه يحقق المقصود[٥] فقال له: {وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِى أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا}[٦].

---

(١) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٢٨٧/٢٠)، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **مرجع سابق**، (٢٤٥/٣).

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

(٣) يُنظر: البغوي، الحسين ابن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، (١٠٣/٣).

(٤) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٤٥٢).

(٥) يُنظر: **المرجع السابق**، (١٨٤).

(٦) سورة النساء: ٦٣.

وخير ما يستخدمه الواعظ في موعظته كلام الله، فإنّ الله أنزل كتابه ليعظ به العباد قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}(١) هذه آية خاطبت جميع الناس، بأن كتاب الله جاء واعظًا زاجرًا عن كل ما يبعد عن رضوان الله تعالى، ومانعًا عن كل ما يشغل القلب بغير الله(٢)، فكتاب الله موعظة شاملة (الحق والخير، واجتناب الباطل والشر، بأساليب الترغيب والترهيب التي يرق لها القلب، فتبعث على الفعل والترك)(٣)، فليحرص كل من يتعامل مع المذنبين أن يعظهم من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن ينتقي من مواعظهما ما هو أنسب وأعمق أثرا لمن يوجهه حتى تثمر موعظته توبة وأوبة وصلاحًا. وفيما يلي سنقف مع طريقة القرآن في وعظ المذنبين.

---

(١) سورة يونس: ٥٧.

(٢) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير كتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٢٦/٣)، الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٢٦٨/١٧).

(٣) محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م)، (٣٢٨/١١).

المطلب الأول: الموعظة المباشرة

إنّ من أساليب القرآن الكريم في التعامل مع المذنب أسلوب الموعظة المباشرة، وقد ورد ذلك في مواضع شتى، فوعظ سبحانه وتعالى أنبياءه ووعظ الكفار والمذنبين والمؤمنين وأمر أنبياءه باستخدام الوعظ في الدعوة والتوجيه.

وفيما يلي بيان طريقة القرآن في الموعظة المباشرة للمذنبين:

أولًا: وعظ الزوجة الناشز:

وجّه الله سبحانه وتعالى الأزواج إلى استخدام الوعظ مع زوجاتهم حال عصيان الزوجة فقال تعالى: { وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ }(١) فوجههم إلى أن يُذكِّر الرجل زوجته المذنبة بأمر الله، وأن يدعوها إلى ما يجب عليها بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم(٢)، (من حسن الصحبة وجميل العشرة للزوج، والاعتراف بالدرجة التي له عليها)(٣)، وأن يعظها بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، ومنها قوله: "لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا، وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ"(٤) وقوله: "إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ، هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ"(٥) وغيرها من الأحاديث.

---

(١) سورة النساء: ٣٤.

(٢) يُنظر: ابن عطية، **مرجع سابق**، (٤٨/٢)، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٠٠/٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٢٩٤/٢).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٧١/٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، ح ١٨٥٣، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، (٥٩٥/١) وقال الألباني: حسن صحيح.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، ح١٤٣٦، كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها، (١٠٥٩/٢).

كما يعظها بأنّ ما تفعله من نشوز وعصيان وعدم تأديتها لحقوق زوجها وترفعها عليه، معصية لله ومخالفة لأمره قد توجب عقاب الله وسخطه عليها، وأنّ ذنبها هذا يُبعدها عن محبة الله لها ورضاه عنها لغضب زوجها عليها، فقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لامرأة من الصحابة يبيّن لها حق زوجها:" انْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ فَإِنَّهُ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ"(١).

وعلى الزوج أن يختار من الموعظة ما يُناسب زوجته ويراه مؤثرا في نفسها واستجابتها له حتى ترجع عن ذنبها وعصيانها وترفعها عليه(٢)، فإنّ تجاهل الأزواج هذه المواعظ التي أمر الله بها في الحياة الزوجية، أدى بهم في كثير من الأحيان إلى المسارعة إلى الطلاق مما أدى إلى اختلال الحياة الأسرية.

ثانيًا: وعظ أصحاب الإفك:

وعظ الله في كتابه أصحاب الإفك الذين خاضوا في أشرف عرض وأطهره، عرض أمنا عائشة رضي الله عنها وعرض نبينا صلى الله عليه وسلم، واتهموها ورموها بالفاحشة زورًا وظلمًا وبهتانًا، وقد تزعّم هذا الافتراء كبير المنافقين عبد الله ابن أُبي ابن سلول(٣)، ونشره بين الناس وأشاعه، حتى تلقفه بعض من المؤمنين وخاض فيه من خاض(٤).

---

(١) أخرجه أحمد ابن حنبل، **مسند الإمام أحمد ابن حنبل**، تحقيق: شيب الأرناؤوط وآخرون، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ)، ح١٩٠٠٣، مسند الكوفيين، حديث حصين بن محصن عن عمة له، (٣٤١/٣١)، قال محققوا المسند: إسناده محتمل للتحسين، فأحد رواة الحديث اسمه الحصين بن مِحْصن، مختَلف في صحبته، وقد رَجَّح أنه تابعي البخاري وابنُ أبي حاتم وابن حبان، وقد روى عنه اثنان، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، وبقية رجاله ثقاتَ رجال الشيخين، غير عمة حصين، فلم يرو لها سوى النسائي.

(٢) يُنظر: المراغي، أحمد ابن مصطفى، **تفسير المراغي**، (مصر: مكتبة مصطفى البابي وأولاده، ١٣٦٥هـ)، (٢٨/٥).

(٣) عبد الله بن أبي ابن سلول، ولد بالمدينة المنورة، رأس المنافقين في الإسلام، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر تُقية، وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمت بهم، وكلما سمع بسيئة نشرها، وكان ممن تولى إشاعة حديث الإفك في عائشة-رضي الله عنها-توفي سنة تسعة للهجرة. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، **مرجع سابق**، (٣/ ٩٤٠).

(٤) نص القصة مطولة أخرجها البخاري، محمد ابن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد الناصر، (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، في

فتكلم فيه من تكلم وألقوا الباطل بعضهم إلى بعض بلا علم، ولم يستشعروا عظمة وخطورة رمي المؤمنين بالفجور واتهامهم في أعراضهم، فأشاعوا الفاحشة ونشروها، فوعظهم الله موعظة مباشرة شديدة وغليظة(١) قال تعالى: { إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا و هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }(٢) في الآيات تهييج وتقريع بأنكم لو كنتم مؤمنين حقا فإنّكم ستتعظون بما وعظكم الله به، وتأتمرون لأمره، وتنتهون عما نهاكم عنه وتقفون عند حدوده(٣)، وتعرفون بهذه المواعظ عظم هذا الذنب وأن فيه الحد والنكال في الدنيا والعذاب في الآخرة، حتى لا تعودوا إلى مثل هذا العمل أبدا ما دُمتم أحياء مكلفين(٤).

ويدخل في هذا من تكلم ومن سمع فلم ينكر، لوقوعهما في الذنب، وإن كان من أقدم عليه أعظم ذنبا(٥).

صحيحه، ح ٤١٤١، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، (١١٦/٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، ح٢٧٧٠، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول الله توبة القاذف، (٢١٢٩/٤).

(١) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (٥٦٤).

(٢) سورة النور: ١٥ – ١٩.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (١٣٣/١٩)، أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (١٦٣/٦).

(٤) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٤٤/٢٣)، الزحيلي، التفسير المنير، **مرجع سابق**، (١٨١/١٨ – ١٨٢).

(٥) يُنظر: **المرجع السابق.**

وإشاعة الفاحشة محرمة ولو كانت واقعة حقيقية، فإنه لا تحل إشاعتها ولو كان قائلها صادقا، فالشريعة لم تنهَ عن إشاعة الفاحشة لكونها كذبا، بل نهت عنها حتى لا تتهاون النفوس عن تعظيم الحرام وتبشيعه، فإن الحديث عن الفاحشة يُشوِّف إليها ويهونها في النفوس(١).

ثالثًا: وعظ آكل الربا:

وعظ سبحانه وتعالى آكل الربا موعظة مباشرة فقال تعالى: { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }(٢)

فوعظ الله آكل الربا بأن الربا يمحق ماله ويُذهب بركته ذاتًا ووصفًا، وأنه سبب لوقوع الآفات ونزع البركة -ليست البركة نماء الأرقام، وإنما أثر المال بالطمأنينة والكفاية والقناعة وتيسير

---

(١) يُنظر: الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٨٣٠/٤).

(٢) سورة البقرة: ٢٧٥ ـ ٢٨٠.

الحاجات ولو بالقليل[1]- وإن أنفق منه في وجوه الخير لم يؤجر عليه بل يكون زادًا له إلى النار، لأن الجزاء من جنس العمل، فإن المُرابي قد ظلم الناس وأخذ أموالهم على وجه غير شرعي رغبة في تكثير ماله، فجوزي بذهاب ماله، وبقاء تبعة ذنبه العظيم الذي وقع فيه وسيُعاقب عليه في الآخرة[2].

كما ذكره بحال نقيضه ترغيبًا له في التوبة وترك الذنب، وهو المحسن المتصدق الذي سيكرمه الله بالثواب[3]، ثمّ ختم الآية بأنّ الله لا يحب من استحل الربا وتمادى فيما نهاه الله عنه، ولا يحب الذي لا ينزجر ولا يتعظ بموعظة ربه التي وعظه بها في تنزيله وآي كتابه[4].

إنّ وعظ المذنبين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر واجب، معذرة إلى الله وامتثالًا لأمره بذلك، ولعل المذنب يستجيب فيمتثل ويتوب، وهو من أسباب النجاة من عقاب الله إذا عمّ الفجرة والفساق والمذنبين، فهذه سنة الله في عباده[5] قال تعالى: {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}[6].

---

(١) الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٥٤٦/١).

(٢) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ١١٧)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٣٨٦/١)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٣٧٣/١)، الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٨٠/٧)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣٦٢/٣)، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **مرجع سابق**، (١٦٢/١)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٧١٣/١).

(٣) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٣٧٣/١).

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢١/٦).

(٥) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٤٩٤/٣)، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (٣٠٧).

(٦) سورة الأعراف: ١٦٤ – ١٦٥.

وأخيرا: فلا يتشـــوّف الواعظ إلى ثمـار موعظتـه فقط، بل إنّه يفعله اســـتجابة لأمر الله بالنصح والبلاغ واقتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم وسلفه الصالح، وإن لم يرَ لموعظته أثرا فإنّه يكفيه نظر ربه له.

المطلب الثاني: التعريض بالموعظة:

إنّ تعريض الخطاب بالذنب يُعد أسلوبًا مناسبًا لذوي الألباب سريعي الفهم والاستجابة، كما يُقال: اللبيب بالإشارة يفهم، ولقد جاء في القرآن في مواضع عديدة استخدام أسلوب التعريض بالموعظة للمذنبين توبيخًا وزجرًا لهم على ما فعلوه، ومن ذلك:

أولًا: التعريض باللذين ادعوا الإيمان ولم يبلغوه:

حينما جاءت الأعراب للنبي صلى الله عليه وسلم وزعموا الإيمان وهم حديثي عهد بالإسلام ولم تصل قلوبهم بعد إلى مرتبة الإيمان(١)، أراد الله أن يُبيّن لهم حقيقة ما هو قائم في نفوسهم وأنّهم في مرتبة أقل مما زعموه وادعوه لأنفسهم(٢) فقال تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}(٣)، فنفى الله عنهم ما ادعوه من الإيمان، ووصفهم بوصفهم اللائق بهم وبحالهم مع عدم التصريح بلفظ التكذيب(٤)؛ مبيّنًا لهم سبحانه وتعالى أثر الإيمان الحقيقي الذي لم يكونوا قد بلغوه، ليُعيدوا النظر والعمل، وأنّ الذين

---

(١) وأصل القصة عند البزار، أحمد ابن عمرو، **البحر الزخار**، تحقيق: جماعة، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٩م)، ح٥١٤١، (٣٢٨/١١)، والنسائي في سننه الكبرى، ح١١٤٥٥، سورة الحجرات، باب قوله تعالى: {يمنون عليك أن اسلموا}، (٢٦٩/١٠)، والطبراني، سليمان ابن أحمد، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق ابن محمد وعبد المحسن الحسيني، (القاهرة: دار الحرمين)، ح٨٠١٦، (٧٨/٨)، وحسنه السيوطي، يُنظر: السيوطي، عبد الرحمن ابن أبي بكر، **لباب النقول في أسباب النزول**، تحقيق: أحمد عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية)، (١٨٣).

(٢) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، **مرجع سابق**، (٣٣٤٩/٦).

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٤ – ١٥.

(٤) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٢٦٥/٢٦).

آمنوا إيمانًا جازمًا بلا شك وحققوا ذلك بالجهاد والأعمال الصالحة فهم صادقون[١] في قولهم إذا قالوا: إنهم مؤمنون، وذلك خلافًا لحالهم فليس معهم من الدين إلا الكلمة الظاهرة[٢].

ثانيًا: التعريض بالمخالفين في غزوة أحد:

جاءت نصوص الكتاب والسنة متظافرة بالحث على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحذّرت أيّما تحذير من مخالفته وعاقبة ذلك، إلا أنّه قد خالفت طائفة من المسلمين في غزوة أحد أمر النبي صلى الله عليه وسلم، بمغادرتهم مراكزهم التي أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بعدم مخالفتها؛ ورغم ذلك إلا أنه صلى الله عليه وسلم عاملهم برفق ولين دون تغليظ أو تثريب وقد كان عفو الله عنهم يعرف في معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم إياهم، وذلك برحمة من الله لا بغيرها، وهذا القصر مفيد التعريض بأن أحوالهم كانت مستوجبة الغلظ عليهم، ولكن الله ألان خلق رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة بهم، لحكمة علمها الله في سياسة هذه الأمة[٣] فقال تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }[٤] ففي الآية تقريع لجميع من ترك موقعه يوم أحد، فإنهم كانوا يستحقون الملام منك، وأن لا تلين لهم، ولكن رحمكم الله جميعا، فجعلك الله على خلق عظيم، ألانك لهم وسهلت لهم خلائقك

---

(١) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣٤٩/١٦).
(٢) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٣٩٠/٧).
(٣) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (١٤٤/٤).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

بما جعلك تحتمل أذى من نالك منهم، وتعفو عن ذي الجرم ولم يأخذك الغضب بهم في ذلك اليوم[1].

وهذا مما يجعلهم يستشعرون ذنبهم في مخالفتهم لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وأنّه رغم ذلك لم يعنفهم وألان لهم الخطاب، فيدفعهم إلى المسارعة إلى التوبة والاستغفار والندم.

ثالثًا: التعريض بالقاعدين عن الجهاد:

كان الجهاد في مبتدأ الإسلام فرضًا على المسلمين، وأنّ المتخلف عن الخروج بلا عذر يلحقه غلظة في القول والفعل؛ لهذا جاء التعريض بالقاعدين عن الجهاد[2] والتشنيع بحالهم - باستثناء أولي الضرر فإنّهم غير مقصودين بالتعريض - [3] فقال تعالى: { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }[4]، وفائدة هذا التعريض بيان الفرق بين المتخلفين عن الجهاد في سبيل الله المؤثرين الراحة والقعود في منازلهم على مقاساة الأسفار والسير في الأرض ومشقة ملاقاة أعداء الله، وبين المجاهدين في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، المستفرغين طاقتهم في قتال أعداء الله وأعداء دينهم

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٤١/٧)، البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٥٢٦/١)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٥٣٣/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ح٢٨٣٢، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين}، (٢٥/٤)

(٣) يُنظر: ابن عاشور، **مرجع سابق**، (١٧٠/٥).

(٤) سورة النساء، الآية: ٩٥ – ٩٦.

بأموالهم وبأنفسهم، وبيان هذا التفاوت ترغيبا للقاعد في الجهاد رفعا لرتبته وأنفة عن انحطاط منزلته[١]، فيترفع بنفسه ويرغب في ارتفاع درجته وثوابه[٢].

رابعًا: التعريض بالمتسللين من مجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

حثّ الإسلام على مجالس الذكر والخير، وشنّع على من أعرض عنها بغير عذر، كما جاء التعريض بالمنافقين الذين تواطؤوا على الهرب والتخلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم كلما سنحت لهم الفرصة[٣]فكانت تثقل عليهم خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فيلوذون ببعض الصحابة الذين استأذنوا فأُذِن لهم فينطلق الذي لم يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم متسترا ومتخفيا بالذي استأذن، فإنّه وإن خفي على النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لا يخفى عن الله[٤]، فقال تعالى: {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[٥] ذكّرهم سبحانه بسعة علمه وإحاطته فلا ينبغي لأحد أن يخالف أمره، فإنه عالم بحالكم ومخالفاتكم وتخفيكم، فلا تنصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بإذنه، فإنّه يعلم إيمانكم ونفاقكم، ويعلم كل شيء وسيجازيكم على أعمالكم[٦].

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٨٥/٩)، والبيضاوي، ناصر الدين عبد الله، **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف: نور الدين طالب، (الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٣٣هـ)، (٩١/٢).

(٢) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢٢٠/٢).

(٣) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٣٠٩/١٨).

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٣١/١٩)، والرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٤٢٥/٢٤).

(٥) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٦) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٣٢/١٩)، والبغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٤٣٣/٣)، والرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٤٢٧/٢٤)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٩٠/٦).

فليتقِ الله الذين هذا فعلهم أن يصيبهم من الله عذاب في الدنيا أو الآخرة[١]، فكان في هذا المعنى التعريض بمن تسلل منهم دون التصريح بأسمائهم، وفي ذلك سترًا لهم ولحالهم.

خامسًا: التعريض بمن تأخرت قلوبهم:

إنّ من مقاصد إنزال هذا القرآن، إحياء القلوب بتلاوته وتدبر معانيه، وقد جاء الحث على ذلك في مواطن كثيرة من القرآن، وجاء التحذير من الانشـغال عنه والتقصـير في تدبره، فقال تعالى: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }[٢].. وغيرها كثير.

وعلى هذا فقد جاء التعريض بالموعظة عتابًا لبعض المهاجرين وذلك حينما استبطأ الله قلوبهم،[٣] بعد أن فتروا عن بعض ما كانوا عليه من الطاعات عندما أصابوا رغد العيش، فأراد الله إيقاظ قلوبهم بأن عرّض بوصـفهم وحالهم بذكر أهل الكتاب وما آلت إليه أحوالهم مع كتابهم[٤]، فقال تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَـعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ }[٥]

(والمعنى: أن الله عز وجل ينهى المؤمنين أن يكونوا في صـحبة القرآن كاليهود والنصـارى الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر)[٦]، وفيه حثٌ لهم (على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسـبوا أنفسـهم على ذلك، ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٣١/١٩).
(٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٩/٨).
(٤) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٣٩٠/٢٧).
(٥) سورة الحديد، الآية: ١٦.
(٦) البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٣١/٥).

لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، {ففقست قلوبهم} فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزله الله، وتناطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين)[1].

سادسًا: التعريض بمن أفشت سرّ النبي صلى الله عليه وسلم:

إنّ من الأمانة حفظ السر، ويتأكد ذلك على الزوجة بأن تحفظ سر زوجها ولا تفشيه، لذلك جاء التعريض ببعض زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهنّ، كما في قصة التحريم[2] حينما أفشت إحداهن سرّ النبي صلى الله عليه وسلم وأطلعه الله على ذلك، فقال تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ}[3]، فلم يُسمِ الله تعالى الزوجة التي قامت بذلك، بل اكتفى بذكر ما تستشعر به أنها المقصودة باللوم، وهي حفصة[4] بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها، وقد كان الواجب أن تحفظ السر ولا تفشيه[5]

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (٨٤٠).

(2) القصة بطولها في: صحيح مسلم، ح١٤٧٤، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته، (١١٠٠/٢).

(3) سورة التحريم: الآية: ٣.

(4) حفصة بنت عمر بن الخطاب: هي حفصة العَدَوِيَّة أم المؤمنين، بنت أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب. وُلدت قبل البعثة بخمس سنين، وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها من خُنيس السهمي، وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة. توفيت سنة إحدى وأربعين. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، **مرجع سابق**، (٢٢٧/٢).

(5) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٣٥١/٢٨ – ٣٥٢)، ونحوه في: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٤٨٢/٢٣).

ومن كرم خلقه صلى الله عليه وسلم في معاتبة المفشية وتأديبها إعراضه عن التعريف ببعض الحديث الذي أفشته، إذ يحصل المقصود بأن يعلم بعض ما أفشته، قال سفيان[١]: ما زال التغافل من فعل الكرام، وقيل: ما استقصى كريم قط، وما زاد على المقصود بقلب العتاب من عتاب إلى تقريع[٢].

فمن الحكمة في بعض الأحيان لا يصلح التغافل التام المشعر بالغفلة والبلادة، بل يُبيّن طرف من الكلام الذي يُشعر بالعلم، ويُكتم القدر الذي لا حاجة إليه، أو كانت الحاجة إلى ذكره ضعيفة أو يكون ضرر إخراجه أشدّ من ضرر كتمه[٣].

فإنّ التصريح بجزء من الذنب تعريضا لما خفي؛ فيه حفظ للعهد ويكون أكثر إيلاما وتأديبا، وهو من أسلوب القرآن في التعامل مع المذنبين، إذ به يُنبه المذنب إلى ذنبه مع حفظ مكانته وعدم هتك ستره، وذلك أدعى وأسرع للتوبة والأوبة.

وأحوج ما يكون الإنسان إلى التغافل وعدم التصريح بكل شيء مع من يُكثر خُلطته؛ كالزوجة والولد والخادم وذوي الأرحام والأصحاب والجيران، فلو تتبَّع الإنسان كل ذنب في حقه عليهم لما بقي له عُمر ولم تصلح له حال، ولن يقع في قلب المذنب موقعه[٤].

ويُستخدم التعريض بتوجيهه لغير صاحب الذنب، والمذنب يسمع؛ وذلك تلافيًا لانفعال المذنب، أو عند تصلّبه في الرأي؛ فإنّ هذا النوع من الموعظة يُشعر الفرد بأنه يكتسب هذه المعارف والخبرات باستقلالية تامة من غير مواجهة بالذنب أو إلزام أو إكراه، فيشعر بحريته في التفكير

---

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله، الكوفي، المجتهد، مصنف كتاب الجامع. طلب العلم وهو حدثٌ باعتناء والده المحدّث سعيد الثوري. روى له الجماعة الستة في دواوينهم. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، **مرجع سابق**، (٢٢٩/٧، ٢٣٠)

(٢) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٣٥٣/٢٨)، ونحوه في: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٨٧/١٨)؛ والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **مرجع سابق**، (٢٢٤/٥)؛ وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢٦٧/٨).

(٣) يُنظر: الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢١٧٣/٤).

(٤) يُنظر: **المرجع السابق**، (٢١٧٤/٤).

والتعليم والاكتشاف، من غير إحساس باستعلاء من أحد بفضل علم، أو تقدم خبرة؛ إذ إنّ من طبيعة الإنسان أنه لا يحب أن يبدو أمام نفسه أولًا، وأمام الآخرين ثانيًا بمظهر القصور والذنب، فيكون التعريض بالموعظة مما يُسهل عليه التوبة والإقلاع عن الذنب(١).

ويجب أن يَحْذَر الواعظ من كثرة الوعظ فيتخوَّل بالموعظة حتى لا يُمَلّ، ولأن تأثير الموعظة مؤقت فيحسن تكرارها مع تباعد الأوقات(٢) كما كان صلى الله عليه وسلم يتخوّل الصحابة بالموعظة كراهية السآمة(٣).

فإذا أحسن الواعظ اختيار موعظته وأحسن تقديمها في ظروف مناسبة، فإنّه يوقظ ما في قلب المذنب من عواطف ربانية نشأ عليها وتربى عليها، كعاطفة الخضوع لله والخوف من عذابه والرغبة في ثوابه، وأحيا تصوره للحياة الدنيا والآخرة، ودور الإنسان ووظيفته في هذا الكون وأنه خُلق لتحقيق عبودية الله سبحانه لا للهو واللعب، فتثمر الموعظة امتثالا وتوبة وأوبة إلى الله(٤).

ولقد ظهرت بعض الأصوات اليوم تُنادي بتهميش الموعظة، وتهوّن من شأن الوُعاظ، وترى أن الموعظة إنما تُلائم العامة وحديثي العهد بالاستقامة؛ فلذلك نحن بحاجة إلى مزيد من ردّ الاعتبار للموعظة، والاعتناء بالخطاب الوعظي وتطويره، والارتقاء بأدائه، وضبطه بمنهج القرآن ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كانت مواعظ النبي صلى الله عليه وسلم ذات أثر بالغ على أصحابه، قد اجتمع فيها صدق الواعظ، وبلاغته، واستعداد المستمع، ورقة قلبه(٥).

---

(١) يُنظر: محمد الدويش، التربية النبوية، **مرجع سابق**، (٥٠٠،٥٠٢).

(٢) يُنظر: محمد بن عبد الوهاب، **أساليب التربية**، (مرقم آلي) (٦ – ٧)، ومحمد الدويش، التربية النبوية، **مرجع سابق**، (٣٩٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٦٤١١، كتاب الدعوات، باب الموعظة ساعة بعد ساعة، (٧٨/٨).

(٤) يُنظر: النحلاوي، عبد الرحمن **التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، ط٢٥، (بيروت: دار الفكر،١٤٢٨هـ) (٢٢٩).

(٥) محمد الدويش، التربية النبوية، **مرجع سابق**، (٣٩٨ – ٣٩٩).

المبحث الثاني:

أسلوب التذكير، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التذكير بالله وصفاته.

المطلب الثاني: التذكير بالأسوة الحسنة.

المطلب الثالث: التذكير بالتوبة.

المطلب الرابع: التذكير ببيان العاقبة والعقوبة.

المطلب الخامس: التذكير بالموت والحساب.

مدخل

يُعدُّ التذكير أحد أساليب التعامل مع المذنبين، فقد أمر الله نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يُذكّر قومه بالله وآياته وأوامره فقال تعالى: { وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ }[1] وقال: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى }[2] فأمر سبحانه بتذكير المؤمنين إيقاظًا لهم من الغفلة التي قد تعتريهم وتعرض لهم، وما قد يقعوا فيه من الذنوب والآثام، فيكون التذكير عونًا لهم على التوبة والأوبة وترك الذنب والإقلاع عنه[3] كما قال تعالى: { لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ }[4]، وصيغة الأمر في قوله { وذكِّر } يُراد بها التذكير على الدوام وتجديده، وإن لم يستجيبوا وأعرضوا إذ ما عليك إلا البلاغ، فإنّك لم تبعث مسيطرا ومسلطا عليهم [5]قال تعالى: { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ }[6].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

(٢) سورة الأعلى، الآية: ٩ – ١٠.

(٣) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٨١٢).

(٤) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٥) يُنظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **مرجع سابق**، (٣٠٨/٥)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٢٤/٢٧).

(٦) سورة الغاشية، الآية: ٢١ – ٢٢.

المطلب الأول: التذكير بالله وصفاته:

إنّ من أعظم ما يُذَكَّر به المذنب التذكير بالله وصـــفاته، فإنه ما وقع فيما وقع فيه من ذنب، إلا من نسيانه لمراقبة الله له وقلة معرفته بالله وتعظيمه حق قدره؛ لذلك كان التذكير بالله وصفاته مما جاء به القرآن في التعامل مع المذنبين، ومما جاء التذكير به:

أولًا: التذكير بقدرة الله:

مما يُعين على استحضار مراقبة الله التي تكف الإنسان عن الذنب؛ تذكر قدرته سبحانه وتعالى وأنّه على كل شيء قدير وأنّه قادر على إيقاع العقوبة إذا أراد ذلك، ومما جاء في التذكير بذلك: جاء التذكير بقدرة الله تعالى فإنّه حينما خرج النبي صلى الله عليه وسلم معتمرا في قصة تخلف المنافقين، الذين لم يخرجوا مع النبي صـــلى الله عليه وســـلم إلى مكة لأداء العمرة، ثم لما عاد النبي صلى الله عليه وسلم جاؤوا إليه يسألونه أن يستغفر لهم لانشغالهم بالأموال والأهل[1]، فقال تعالى: { سَـــيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَـــغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْـــتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِـنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَـيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًـا بَـلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }[2] فجاءت الآية تكذبهم وتذكرهم بأن الله إذا أراد هلاكهم وأموالهم أو أراد نفعهم وصـــلاحهم فمن ذا الذي يقدر على دفع ما أراده ســـبحانه[3]، فإنكم (تحترزون عن الضـــرر وتتركون أمر الله ورســـوله، وتقعدون طلبا للســـلامة، ولو أراد بكم الضـــرر لا ينفعكم قعودكم من الله شـيئا، أو معناه أنكم تحترزون عن ضـــرر القتال والمقاتلين

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢١١/٢٢)، والبغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٢٢٥/٤)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٣٠/٥).

(٢) سورة الفتح، الآية: ١١.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢١١/٢٢)، والبغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٢٢٥/٤)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٣٠/٥).

وتعتقدون أن أهليكم وبلادكم تحفظكم من العدو، فهب أنكم حفظتم أنفسكم عن ذلك، فمن يدفع عنكم عذاب الله في الآخرة، مع أن ذلك أولى بالاحتراز)[1].

كما جاء في التشريع بيان طريقة علاج نشوز الزوجة وتقويمها فقال تعالى: { وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا }[2] فخُتمت الآية بتذكير الأزواج بأن الله أقدر عليهم من قدرتهم على زوجاتهم وحذرهم من ظلمهن، فهو سبحانه أعلى وأكبر منكم ومن كل شيء[3] (وهو وليهن ومنتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن)[4]، وحسن التذكير بالعلو والكبر بعد تقدير الفضل عليهن والتمكين من أدبهن، مما يعني أن قدرة الله فوق قدرتكم على من تحت أيديكم وأنه سبحانه أعلى وأكبر من كل أحد، فلا يتجاوز أحد الحد في تأديب امرأته، فالله بالمرصاد[5].

وقد جاء نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم حينما ذكّر النبي صلى الله عليه وسلم أبا مسعود[6] رضي الله عنه عندما كان يضرب غلامه فقال له: "اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا العبد"[7].

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٧٤/٢٨).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣١٨/٨).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٢٩٦/٢).

(٥) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٤٨/٢)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٧٣/٥)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **مرجع سابق**، (٧٣/٢)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (١٧٤/٢).

(٦) أبو مسعود البدري: هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري، يكنى بأبي مسعود البدري وبها اشتهر، لأنه ﷺ كان يسكن بدرا، ثم نزل الكوفة وسكنها، كان أبو مسعود أحدث من شهد العقبة سنا، ولم يشهد بدرا، وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد، قيل: مات أيام علي- رضي الله عنهما-، وقيل: بل كانت وفاته بالمدينة في خلافة معاوية. يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، **مرجع سابق**، (٣/ ١٠٧٤).

(٧) صحيح مسلم، ح ١٦٥٩، كتاب الايمان، باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده،(١٢٨١/٣).

ثانيًا: التذكير بعلم الله وإحاطته واطلاعه:

قد يغفل الإنسان عن مراقبة الله له، فيقع في الذنوب والمعاصي؛ لذلك جاء في القرآن التذكير بعلم الله وكثير لما يظهر وما يخفى في الصدور وأنه لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض قال تعالى: {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[1] وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته واستحضار مراقبته في كل وقت وحين، وألا يرتكبوا ما نهى عنه وما يبغضه منهم، فإنه عالم بجميع أمورهم، وقادر على معاجلتهم بالعقوبة، وإن أنظر من أنظر منهم، فإنه يمهل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر[2]. ومنها:

أنه عندما أراد أحدهم أذية النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لأنكحنّ زوجاته بعد وفاته[3]، جاء السياق مذكرا له بعلم الله لما أظهره وما أخفاه في نفسه، لا يخفى عليه شيء[4]، فقال تعالى بعد نهيه عن نكاح زوجات النبي: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}[5] فإنّ الله يعلم ما تخفونه من الخواطر والنوايا السيئة المكروهة وسيجازيكم عليها[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٩.

(٢) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٣١/٢).

(٣) ينظر أصل القصة عند أبو بكر البيهقي، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عطا، ط٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ح ١٣٤١٨، كتاب النكاح، باب ما خُصّ به من أنّ أزواجه أمهات المؤمنين وأنه يحرم نكاحهن على جميع العالمين، (١١٠/٧)، وأحد رواة إسناده مهران ابن أبي عمر، قال عنه البخاري: في حديثه اضطراب. يُنظر: محمد البخاري، **التاريخ الكبير**، (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية)، (٤٢٩/٧).

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣١٧/٢٠).

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣ – ٥٤.

(٦) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٣٩٧/٤)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٣١/١٤)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٤٥٦/٦).

وقد حوى السـياق أمرا ونهيا، وعادة ما يكون الامتثال متفاوتا بين العباد في الظاهر والباطن وخاصـة في النوايا والخواطر، فكان المقام مناسـبا للتذكير بأن الله مطلع على كل حال من أحوالهم ومطلع على كل شيء[١].

وقد يُضاف إلى التذكير بعلم الله التذكير بسمعه سبحانه لجميع الأصوات في جميع الأوقات خفت أو علت[٢]، فإنه كان هناك أناس قدّموا آراءهم في نزول الوحي بين يدي النبي صـلى الله عليه وسلم وكانوا يقولون: لو أنزل في كذا لوضع كذا وكذا[٣]، فقال تعالى ناهيًا لهم ومُذكرا: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[٤] ويظهر الارتباط بين الصـفتين كناية عن التحذير من المخالفة ففي ذلك تأكيد للنهي والأمر)[٥]، فإنه سـبحانه وتعالى (سميع لما تقولون، عليم بما تريدون بقولكم إذا قلتم، لا يخفى عليه شيء من ضمائر صدوركم، وغير ذلك من أموركم وأمور غيركم)[٦]، (فلا ينبغي أن يختلف قولكم وفعلكم وضمير قلبكم، بل ينبغي أن يتم ما في سـمعه من قولكم آمنا وسـمعنا وأطعنا وما في علمه من فعلكم الظاهر، وهو عدم التقدم وما في قلوبكم من الضمائر وهو التقوى)[٧].

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٩٥/٢٢)، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٦٧١).

(٢) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٧٩٩).

(٣) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسـير الكتاب العزيز، **مرجع سـابق**، (١٤٤/٥)، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٧٦/٢٢).

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٢١٩/٢٦).

(٦) الطبري، جامع البيان في تـأويل القرآن، **مرجع سـابق**، (٢٧٧/٢٢)، ويُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسـير القرآن، **مرجع سـابق**، (٢٥٢/٤)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسـير الكتاب العزيز، **مرجع سـابق**، (١٤٥/٥)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣٠٣/١٦)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٣٦٥/٧).

(٧) الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٩٢/٢٨).

كما جاء التذكير بعلم الله للذين أساؤوا الظن بربهم فإنه في إحدى الغزوات ظنّ المنافقون بربهم وبدينه ونبيه ظن السوء وظنوا أن المشركين سيهزمون المسلمين وستكون القاضية على الدين[1]، قال تعالى: {وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[2]

فجاء الجواب تذكيرا لهم بأمر الله ومشيئته وإرادته وأن أمره أن يجعل العاقبة لدينه، وتذكيرا بعلمه بما يخفون في أنفسهم من تكذيب بقدر الله وتسفيههم لرأي رسول الله صلى الله عليه وسلم [3]، وجاء التذكير بعلمه سبحانه بسرائر صدورهم وضمائرها وما فيها من إيمان أو كفر وخير أو شر، لا يخفى عليه شيء[4].

ثالثًا: التذكير بأن الرزق من عند الله:

تكفل الله سبحانه وتعالى لعباده بالرزق، وأنّه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، إلا أنّ بعضًا من الناس قد يُقدم السعي لكسب الرزق على طاعة الله حتى يشغلهم عما أوجبه الله عليهم، من

---

(١) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ١٥٣)، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٢٠/٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٣) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ١٥٣)، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٢٠/٧).

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٢٥/٧)، والبغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٥٢٥/١)، والرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٩٧/٩)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٤٣/٤)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **مرجع سابق**، (٤٤/٢)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٤٦/٢)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (١٠٢/٢).

ذلك ما حصل من انصراف بعض الصحابة رضي الله عنهم عن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو قائم على المنبر يخطب، وانشغلوا باللهو والتجارة، فذّكرهم الله بما عنده من الخير وأنّه خير الرازقين[1]، قال تعالى: { وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ }[2] فإنّ ما عند الله من ثواب صلاتكم وما عنده من رزقٍ كتبه لكم، خير مما أصبتموه من تجارتكم ولهوكم، فإنه سبحانه خير من رزق وخير من أعطى فمنه فاطلبوا، واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة[3].

فإنّ الله أعدّ للذين يؤثرون طاعته على طرق الكسب وطلب الرزق، من الرزق جزاء لهم على إيثارهم، جزاء في الدنيا قبل جزاء الآخرة، فرب رزق لم ينتفع به الحريص عليه وإن كان كثيرا، ورب رزق قليل ينتفع به صاحبه ويعود عليه بصلاح وخير وبركة[4].

ونحوه قوله تعالى لمن قتل الرجل بعد قوله الشهادة[5]: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ}[6] تذكيرا بما عند الله من الثواب والمغانم فالتمسوها منه سبحانه[7]، فإن ما عند الله (خير مما رغبتم فيه من عرض الحياة الدنيا الذي حملكم على قتل مثل هذا الذي ألقى إليكم السلام، وأظهر إليكم الإيمان، فتغافلتم عنه،

---

(١) أصل القصة عند البخاري في صحيحه، ح٩٣٦، كتاب الجمعة، باب إذا نفر الناس عن الإمام، (١٣/٢)، وعند مسلم في صحيحه، ح ٨٦٣، كتاب الجمعة، باب قوله تعالى {وإذا رأوا تجارة أو لهوا...}، (٥٩٠/٢).

(٢) سورة الجمعة، الآية: ١١.

(٣) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٢٠/١٨)، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٨٩/٢٣)، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٩٧/٥).

(٤) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٢٢٩/٢٨).

(٥) أصل القصة عند البخاري في صحيحه، ح٤٥٩١، كتاب تفسير القرآن، باب {ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا} ٤٧/٦، وعند مسلم في صحيحه، ح٣٠٢٥، كتاب التفسير، (٢٣٢٩/٤).

(٦) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٧) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٧٧/٩).

واتهمتموه بالمصانعة والتقية؛ لتبتغوا عرض الحياة الدنيا)[1]، ومتاع الدنيا عرض زائل غير باق سريع الفناء وقريب الانقضاء، أما ما عند الله فكثير ودائم وباقٍ[2].

رابعًا: التذكير بفضل الله وبرحمته:

أما حينما يكون الأمر ترك فضيلة فإنّ التذكير يكون بفضل الله ورحمته، كما جاءت الآية في الصِّديق رضي الله عنه حينما امتنع عن نفقة من خاضوا في الإفك ممن كان يُنفق عليهم، فقال الله: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[3] (ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بإفضالكم عليهم، فيترك عقوبتكم عليها)[4] فإنّكم (إذا عاملتم عبيده بالعفو والصفح، عاملكم بذلك، فقال أبو بكر[5] - لما سمع هذه الآية-: بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع النفقة)[6].

خامسًا: التذكير بمنّة الله وعفوه:

إنّ من المؤثر في نفوس المذنبين المنّة بالعفو عن ذنبهم، فذلك يجعله يُراجع نفسه ويُحاسبها، فمن ذلك ما جاء في التعامل مع حادثة الإفك، رغم أنّ الأساليب التي جاءت في حق من وقع

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٣٨٤/٢).

(2) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (١٩١/١١)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣٣٩/٥ – ٣٤٠).

(3) سورة النور، الآية: ٢٢.

(4) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (١٣٦/١٩).

(5) أبو بكر الصديق: هو عبد الله بن أبي قحافة القرشي التيمي. أول من آمن من الرجال وأول الخلفاء الراشدين. كان أحب الرجال إلى النبي صلى الله عليه وسلم. كانت خلافته سنتين ومائة يوم. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، **مرجع سابق**، (ج سير الخلفاء الراشدين/ ٧، ٨).

(6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٥٦٥)، والرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٥٢/٢٣)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٠٨/١٢)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٣١/٦).

فيها وتسبب في إشاعتها شديدة ومتنوعة، فقد ذكّر الله الخائضين في الإفك بفضله ومنّته عليهم فقال تعالى في سياق حكاية الحادثة: { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ }[1] فإنّه سبحانه تفضل عليهم ورحمهم بأنّه لم يُعاجلهم بالعقوبة ولم يُهلكهم[2]، والمقصود(مسطح[3] وحسان بن ثابت[4]وحمنة[5])[6]، فإنّه لولا فضله لفضحهم بذنوبهم ولعذبهم فيما رموه من باطل وبهتان[7]، ولكنّه أنعم وتفضل بأن مَنَّ عليهم فأبقى وأمهل وإلا لهلكوا[8].

---

(1) سورة النور، الآية:٢٠.

(2) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (١٣٤/١٩).

(3) هو مِسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب المطلبي ابن عبد مناف بن قصي، المذكور في قصة الإفك. كان فقيرا ينفق عليه أبي بكر، توفي سنة أربع وثلاثين. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١٨٧/١، ١٨٨).

(4) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري، أبو الوليد، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه. عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام، وحديثه قليل. توفي سنة أربع وخمسين. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، **مرجع سابق**، (٥١٢/٢، ٥٢٢).

(5) حمنة بنت جحش بن رياب الأسدية، كانت عند مصعب بن عمير، وقتل عنها يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله، فولدت له محمدا وعمران ابني طلحة بن عبيد الله، وكانت حمنة ممن خاض في الإفك على عائشـــة وجلدت في ذلك مع من جلد فيه عند من صحح جلدهم. يُنظر: يوسف القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، **مرجع سابق**، (٤/ ١٨١٣).

(6) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٣٩٥/٣).

(7) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٧٢/٤).

(8) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٤٧/٢٣).

كذلك جاء التذكير بمنّة الله وعفوه عمن ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبت ندمًا على ذنبهم وحُزنًا، وهم ثلاثة من الصحابة رضي الله عنهم: كعب ابن مالك(١)، هلال ابن أمية(٢)، مرارة ابن الربيع(٣)، وكلهم من الأنصار، وذلك لتخلفهم عن الخروج للغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة العسرة بدون عذر، (وضاقت عليهم أنفسهم) بما نالهم من الوجد والكرب بذلك، وأيقنوا أنه لن يُنجيهم مما أصابهم ومن كربه ولا مما يحذرون من العذاب إلا الله(٤)، فأنزل الله قوله تعالى: { لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ

---

(١) هو كعب بن مالك بن عمرو الخزرجي، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا عبد الرحمن، كان أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد الأذى عنه بالشعر. شهد العقبة الثانية، واختلف في شهوده بدرا، وشهد أحدا والمشاهد كلها عدا تبوك، فإنه تخلف عنها وهجرهم الرسول ومعه المسلمون مدة من الزمن ثم تاب الله عليهم، وعذرهم، وغفر لهم، ونزل القرآن المتلو في شانهم. وتوفي في زمن معاوية، سنة ٥٠للهجرة، وكان قد عمي وذهب بصره في آخر عمره. يُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، **مرجع سابق**، (٣/ ١٣٢٣-١٣٢٤).

(٢) هو هلال بن أمية بن عامر الأنصاري الواقفي، شهد بدرا وأحدا، وكان قديم الإسلام، كان يكسر أصنام بني واقف، وكانت معه رايتهم يوم الفتح، أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وهو الذي لاعن امرأته ورماها بشريك بن سحماء. يُنظر: : ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، **مرجع سابق**، ٤/ ١٥٤٢، ط١، وابن الأثير، أسد الغابة، **مرجع سابق**، (٤/ ٦٣٠-٦٣١).

(٣) هو مرارة بن ربيعة، ويقال ابن ربيع العمري الأنصاري. من بنى عمرو، شهد بدرا، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وتاب الله عليهم، ونزل القرآن في شأنهم. يُنظر: يوسف القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، **مرجع سابق**، (٣/ ١٣٨٢-١٣٨٣)، ابن الأثير، أسد الغابة، **مرجع سابق**، (١٢٩/٥).

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٥٤٣/١٤ – ٥٤٤)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٤٠١/٢)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٨٧/٨)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٥٣/١١).

إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[1] فلما يئست قلوبهم مما عدا الله وانقطع رجاؤهم إلا منه، جاءهم الفرج بأن مَنَّ الله عليهم وتفضل بأن تاب عليهم وعفى عنهم، ورزقهم الإنابة إلى طاعته والرجوع إلى مراضيه، فهو سبحانه التواب الرحيم أن يخذل من أراد التوبة والإنابة[2].

وقوله {ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا} إظهار للمنّة والنعمة والفضل من الله عليهم، وأنّها من عند الله لا من غيره، إذ ابتدأ بالجهة التي هي عن الله عز وجل[3].

كما جاء التذكير بمنّة الله وعفوه عندما خالف الرماة يوم أُحد النبي صلى الله عليه وسلم وتركوا أمره بعدم مفارقة الجبل أبدًا، ونزلوا لجمع الغنائم حينما رأوا بوادر الانتصار، وحصل ما حصل من تكالب العدو وانهزام المسلمين بسببهم[4]، فقال تعالى: { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ

---

(1) سورة التوبة، الآية: ١١٧ – ١١٨.

(2) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٥٤٣/١٤)، ابن الجوزي، عبد الرحمن ابن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ)، **مرجع سابق**، (٣٠٨/٢)، السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ٣٥٤).

(3) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٩٤/٣)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٥٤/١١).

(4) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٨٩/٧)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٥٢٢/١)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٥٢٥/١)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، **مرجع سابق**، (٣٣٤/١)، الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٨٦/٩)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٣٤/٤)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٣٣/٢)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٩٩/٢)، السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ١٥٢)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (١٢٨/٤).

وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ }[1] فبعد مواجهتهم بذنبهم وتوبيخهم على ذلك، منّ الله عليهم وتفضّل بعفوه عنهم، قال الطبري: (فصفح لكم من عقوبة ذنبكم الذي أتيتموه، عما هو أعظم مما عاقبكم به من هزيمة أعدائكم إياكم، وصرف وجوهكم عنهم، إذ لم يستأصل جمعكم)[2] وعفوه سبحانه عنهم (بطريق التفضل والإحسان لا بطريق الوجوب عليه أي شأنه أن يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال)[3]، وفي ذلك تلطف في تقريع المؤمنين وتسكين لخواطرهم، كما أنّ فيه دلالة على صدق إيمانهم إذ عجّل إخبارهم بالعفو حتى لا تطير نفوسهم رهبة وخوفًا من غضب الله[4].

هذه من طريقة القرآن، فعلى الموجهين والناصحين استخدام هذا الأسلوب مع من يصلح له، فبعض المذنبين قد يزيدهم فسادًا واتكالًا على عفو الله ومغفرته فيزدادوا إثمًا.

ومن رحمة الله بالمذنبين أن يُذكرهم به وبأسمائه وصفاته حتى ترق قلوبهم فتتوب أو تنزجر خوفا منه ورغبة فيه وفي عفوه، وعلى المربي والناصح أن يُذكر المذنبين بالله فإنهم ما وقعوا فيما وقعوا فيه إلا لنقص معرفتهم به سبحانه أو غفلتهم عنه.

ومن الحكمة في التذكير بالله وصفاته، أن يكون تذكير كل مذنب بما يُناسب ذنبه من الأسماء والصفات والأفعال، كما في كلام الله تعالى، فحينما يكون الذنب متعلقا بالإضمار والإخفاء يكون

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٩٨/٧)، ويُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٥٢٢/١)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٥٢٥/١)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، **مرجع سابق**، (٣٣٤/١)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٣٧/٤)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٣٣/٢).

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٩٩/٢).

(4) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (١٣٠/٤).

التذكير بالعلم، ومن كان ذنبه إعراض عن ذكر الله وطاعته ابتغاء متاع الدنيا جاء التذكير بما عند الله من الخير وبصفته الرزاق ونحو ذلك، فإنه أقوى وأعمق أثرا.

المطلب الثاني: التذكير بالأسوة الحسنة:

إنّ من أعظم ما يؤثر على الإنسان القدوات، إذ إنّ تأثير الفعل أقوى على النفس من تأثير الكلام وتوجيه الأوامر؛ لذلك جاء في كلام الله تذكير المذنبين بالأسوة الحسنة، ومن ذلك:

أولًا: تذكير حاطب رضي الله عنه بالتأسي بإبراهيم عليه السلام:

ومن ذلك ما جاء في تذكير الله تعالى للصحابي الجليل حاطب ابن أبي بلتعة[١] رضي الله عنه - كان قد كتب إلى كفار قريش بمكة يطلعهم على أمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخفاه عنهم[٢]- ومن معه من المؤمنين بالاقتداء بأبينا إبراهيم عليه السلام في براءته من الكفر وأهله قال تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}[٣]، قال ابن قتيبة[٤]: (قد كانت لكم أسوة حسنة أي عبرة وائتمام) [٥] فأخبرنا الله تعالى بما فعله إبراهيم عليه السلام مع قومه، وأنّ لنا فيه قدوة وأسوة ومثال، وائتمام

---

(١) حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن سلمة اللخمي المكي، من مشاهير المهاجرين، شهد بدرا والمشاهد. كان رسول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس، صاحب مصر. وكان تاجرًا في الطعام ومن الرماة الموصوفين. توفي سنة ثلاثين. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، **مرجع سابق**، (٤٢/٢، ٤٣).

(٢) يُنظر: الطبري، جامع البيان، **مرجع سابق**، (٣١١/٢٣).

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ١ – ٤.

(٤) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّيْنَوَرِي. وَلِي قضاء الدِّينور، وكان رأسًا في علم اللسان العربي والأخبار. ليس بصاحب حديث وإنما هو من كبار العلماء المشهورين، عنده فنون جمة وعلوم مهمة. توفي سنة ست وسبعين ومائتين. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، **مرجع سابق**، (٢٩٦/١٣، ٢٩٨، ٣٠٠).

(٥) ابن قتيبة، **غريب القرآن**، تحقيق: سعيد اللحام، (٣٩٦).

لنا بفعله هذا، وذلك حينما تبرّأ منهم ومن كفرهم وأظهر العداوة والبغضـــاء لهم على كفرهم وشركهم، وأنه لا صلح بيننا حتى توحدوا[١].

قال البغوي[٢] رحمه الله: (يأمر حاطبا والمؤمنين بالاقتداء بإبراهيم عليه الصـــلاة والســـلام، والذين معه من المؤمنين في التبرؤ من المشركين)[٣].

ثانيًا: تذكير المتخلفين عن الغزو بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم:

كما جاء تذكير الله المؤمنين الذين تخلفوا عن الأحزاب وعن عسكر النبي صلى الله عليه وسلم المستخفين عنه بالمدينة من المؤمنين، وذكّرهم بأنه كان عليهم أن يتأسوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويكونوا معه حيث كان ولا يتخلفوا عنه ولا يكسلوا ويتثاقلوا عن الخروج[٤]فقال تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }[٥]

(فإن من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفســه، ولكنه تكون له به أســوة في أن يكون معه حيث يكون هو)[٦] فتصـبروا على عدوكم وما تلاقونه من أذى وشـدة في القتال، كما

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان، **مرجع ســـابق**، (٣١٧/٢٣)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفســـير كتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٢٩٥/٥).

(٢) هو: الحسين بن مسعود بن محمد، الفرّاء، أبو محمد، يلقب بمحيي السنّة، فقيه، محدث، مفسر. نسبته إلى (بَغَا) من قرى خراســان، بين هراة ومرو، توفي بمرو. له مصــنفات منها: (التهذيب) و (شــرح الســنة) و(معالم التنزيل في تفسـير القرآن) و (مصــابيح الســنة) وغير ذلك. يُنظر: الذهبي، سـير أعلام النبلاء، **مرجع ســابق**، (٤٣٩/١٩-٤٤١).

(٣) البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٧٠/٥).

(٤) يُنظر: القيرواني، مكي ابن أبي طالب، **الهداية الى بلوغ النهاية**، تحقيق: رســـائل جامعية في جامعة الشارقة، (الشارقة: جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـــ)، **مرجع سابق**، (٥٨١٤/٩)، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع ســابق**، (٢٣٥/٢٠)، وابن الجوزي، زاد المســير في علم التفســير، **مرجع ســابق**، (٤٥٥/٣)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٥٥/١٤).

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٦) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٣٥/٢٠).

فعل هو صلى الله عليه وسلم إذ كسرت رباعيته وجرح وجهه، وأوذي وصبر، فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته واقتدوا بفعاله وتأسوا بها[1].

فيَحسُنُ بالمربي والناصح تذكير المذنبين بالأسوة الحسنة من الصالحين والعلماء، وأكمل وأجلّ أسوة لنا هو رسولنا صلى الله عليه وسلم، فإنّ التذكير بهديه ومنهجه وصبره ومجاهدته صلى الله عليه وسلم، مما يُعين على الصبر على المعصية والإقلاع عنها والرجوع عن الذنب والتوبة منه.

---

(1) يُنظر: البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٦٢٤/٣)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، **مرجع سابق**، (٤٥٥/٣)، والقرطبي، الجامع **لأحكام القرآن**، **مرجع سابق**، (١٥٥/١٤)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٣٩١/٦).

المطلب الثالث: التذكير بالتوبة:

ذكّر الله سبحانه وتعالى عباده بمنته عليهم بأنه يغفر الذنب ويقبل التوبة ممن تاب فقال تعالى عن نفسه عز وجل: { غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ }(١) وقوله { شديد العقاب} بعد تذكيره بالمغفرة حتى لا يترك الناس التوبة أو يسوفونها، اتكاءً على عفوه ومغفرته، وليبقوا بين الرجاء والخوف(٢)، وقد (روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: إذا رأيتم أحدكم قد زل زلة فسددوه وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه)(٣).

إنّ التوبة فرضٌ على كل مسلم، فقد أمر الله تعالى بالتوبة والرجوع من الذنوب إلى طاعته ومرضاته، رجوعا لا عودة فيه أبدا، ورغّب في ذلك ورتب عليه الثواب الجزيل(٤)،(٥) وذلك في مواطن كثيرة من القرآن، فقال تعالى: { وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ }(٦)، وقال أيضا: { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ }(٧)، والآيات الآمرة بالتوبة والحاثة عليها كثيرة جدا لا يتسع المقام لبسطها.

وتذكير المذنب بالتوبة من الأساليب القرآنية المهمة في التعامل مع المذنب، من ذلك:

---

(١) سورة غافر، الآية: ١ – ٣.

(٢) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، ٢١/ ٣٥٠، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٧/ ١٢٧).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٥/ ٢٩١).

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٣/ ٤٩٣).

(٥) يُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٢/ ٤٣).

(٦) سورة هود، الآية: ٣.

(٧) سورة النور، الآية: ٣١.

أولًا: تذكير من أفشت سر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوبة:

ما نزل به الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم في قصة التحريم [١] بتذكير زوجتي النبي صلى الله عليه وسلم – رضي الله عنهما – بالتوبة حينما أفشتا سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: { إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ }[٢] فجاء الخطاب لهما على الالتفات للمبالغة في المعاتبة بأنه قد وُجِدَ منها ما يوجب التوبة بإفشاء إحداهما السر وسماع الأخرى، فإنهما مالتا عمّا كان ينبغي لهما من محبة ما يُحب النبي صلى الله عليه وسلم، وأنّ التوبة خير لهما من التعاون على النبي صلى الله عليه وسلم [٣]، والمستمعة شريكة للمُنبِئة في تلقي السر ورغبتها في الاطلاع عليه، فقد كان عليها أن تنهاها وأن لا تستمع لها؛ لذلك أمرت بالتوبة أيضا[٤].

ثانيًا: تذكير من أعرض عن التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوبة: كما جاء تذكير من أعرض من المسلمين عن حكم رسول الله[٥] صلى الله عليه وسلم في نزاعه مع أحد اليهود، وأنه اختار التحاكم إلى أحد كبار اليهود، وصدّ عن حكم الله وحكم رسوله صلى الله

---

(١) أصل القصة عند مسلم في صحيحه، ح١٤٧٤، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته، (١١٠٠/٢).

(٢) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٣) يُنظر: البيضاوي، **مرجع سابق**، (٥/ ٢٢٤)، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (٨٧٣)، الصابوني، محمد ابن علي، **صفوة التفاسير**، (القاهر: دار الصابوني للطباعة والنشر، ١٤١٧هـ)، (٣/ ٣٨٥).

(٤) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٢٨/ ٣٥٦).

(٥) أخرجه الطبراني، سليمان ابن أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي السلفي، ط٢ (القاهرة: مكتبة ابن تيمية)، ، ح١٢٠٤٥، (٣٧٣/١١)، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح. يُنظر: علي الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، (القاهرة : مكتبة القدسي، ١٤١٤ هـ)، (٦/٧).

عليه وسلم حينما دُعي إليه، فقال تعالى: { وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً }(١) فكان تذكيرهم بأنهم لو جاؤوا تائبين منيبين، وسألوا الصفح والستر واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم لهم، وعادوا إلى طاعته وحكمه؛ لترك الله عقوبتهم ولتاب عليهم(٢)، وفي الآية (ترغيب للسامعين في المسارعة إلى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم لأولئك المنافقين على ما صنعوا لما أن ظهور تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارهما نعمة زائدة عليهما موجبة لكمال الرغبة في تحصليها وتمام الحسرة على فواتها)(٣).

لقد وجه الله الدعاة والمصلحين والمربين إلى أن ينتهوا عن التوبيخ والتوجيه بعد التوبة، فإنّ من أقلع عن ذنبه وتاب وأناب إلى الله وندم على ما فات منه فإن الله يتوب عليه مالم يغرغر ويبأس من الحياة أو تشرق الشمس من مغربها، لأن المقصد الصلاح والاستقامة والرجوع إلى أمر الله وطاعته (٤)، قال تعالى بعد بيان عقوبة الزنا: { فَإِنْ تابا وَأَصْلَحا فَأَعْرِضُوا عَنْهُما إِنَّ اللَّهَ كانَ تَوَّاباً رَحِيماً (١٦) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٢) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٨/ ٥١٧).

(٣) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢/ ١٩٧).

(٤) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٤/ ٢٨٠)، المراغي، تفسير المراغي، **مرجع سابق**، (٤/ ٢٠٧).

إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولِئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (١٨) }[١] فالتوبة من الذنب غاية كل مصلح، فإذا تحققت فعليه أن يكف عمن تاب.

كما يَحْسُن عند تذكير المذنب بالتوبة، التنبيه على الإنعام العظيم في صفة توبة أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي يقبلها الله، وأنها إنابة ورجوع وندم وإقلاع دائم بلا قتل - كما كانت عليه توبة بني إسرائيل من تشديد في توبتهم وذلك بأن يقتلوا أنفسهم قال تعالى: { وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }[٢]، كما في ذلك الإنعام ترغيب شديد لنا في التوبة، فإن أمة موسى عليه السلام على مشقة توبتهم وصعوبتها إلا أنهم رغبوا فيها، فنحن أولى بالتوبة منهم إذ هي أخف وأسهل من توبتهم[٣].

ومما يدفع المذنب إلى التوبة ويُعينه عليها؛ تذكيره بفرح الله بتوبة المذنبين، فقد قال صلى الله عليه وسلم: " لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح"[٤].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٥ – ١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

(٣) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣/ ٥١٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، ح ٧٠٦٠، كتاب الآداب، باب فرح الله بتوبة عبده، (٩٣/٨).

ومما سبق يظهر جليا أن التذكير بالتوبة أسلوب من أساليب القرآن في التعامل مع المذنبين، لأن أكثر الناس غافلين، فإذا ذُكروا امتثلوا وأفاقوا، فعلى المصلح والمربي والداعية أن ينفض غبار الغفلة عن قلوب الناس بتذكيره بالعودة والرجوع إلى طاعة الله والتوبة والإنابة، فإنّ قلوب العباد بحاجة للتذكير بالتوبة دائما وأبدا مادام التقصير حالنا.

المطلب الرابع: التذكير ببيان العاقبة والعقوبة:

إنّ من أهم أســـاليب تقويم المذنبين رفع الجهل عنهم بتذكيرهم بعاقبة ما يفعلونه وعقوبته، حتى يُدرك المذنب ما ســـيؤول إليه ذنبه، فيبادر إلى التوبة والرجوع عن الذنب وقد جاء بيان العاقبة والعقوبة في عدة مواطن، منها:

أولًا: الإشارة إلى حبوط العمل:

حينما ارتفعت أصوات بعض الصحابة – رضي الله عنهم - عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حضرته، نهاهم الله عن رفع الصوت وبيّن لهم عاقبة ذلك الفعل وعقوبته(١) فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}(٢) فعدم التأدب بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم يُذهِب ثواب حسناتهم ويُبطِل جزاءهم (٣)، فالذي يفعل ذلك غفلة وجريا على طبعه فإنه يُحبط ذلك العمل فقط، ومن يفعل ذلك استخفافا واستحقارا وجرأة فذلك كفر(٤).

ويدخل فيه (عدم تعظيم سنة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ بالإعراض عنها عند سماعها، أو رفع الصوت عندها ، أو تقديم أقوال الرجال عليها)(٥).

---

(١) يُنظر: البغوي، معالم التنزيل، **مرجع ســـابق**، (٢٥٣/٤)، والقصـــة أخرجها البخاري في صـــحيحه، ح ٤٣٦٧، كتاب المغازي، (١٦٨/٥).

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٢.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع ســابق**، (٢٨١/٢٢)، البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٢٥٣/٤).

(٤) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع ســابق**، (١٤٥/٥)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣٠٧/١٦).

(٥) الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٠٦٤/٤).

ثانيًا: بيان الجزاء في الآخرة:

كما بيّن سبحانه مآل الذين تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين، فكانوا لا يخرجون معه صلى الله عليه وسلم، ثم يعتذرون إليه، وأحبوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا(١)، فقال تعالى: { لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }(٢) أي لا تحسبن الذين فرحوا بتدليسهم وكتمانهم حقيقة أمرهم، ويحبون أن يُحمدوا ويُثنى عليهم بنقيض ما فعلوه وحقيقته الكذب والتخاذل، فإنّهم ليسوا بناجين من العذاب(٣)، مُذكرًا إيّاهم أن عاقبة أمرهم العذاب وأنه لابد لهم من العقوبة(٤)، بل لم يُكتفى ببيان عدم نجاتهم من العذاب، بل بيّن أنّ لهم عذاب أليم وشديد وذلك ليرتدعوا عن ذنبهم ولا يعودوا إليه وكل من فعل فعلهم (٥).

ثالثًا: الخزي والخسران في الدنيا والآخرة:

ومن الناس من يعبد الله ينتظر ما يأتيه من خير بعد إيمانه فيطمئن وإن أصابه شيء من نكد الدنيا وابتلاءاتها ضجر وسخط وانخلع، فقد كان بعض الأعراب يقدمون على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة مهاجرين، فكان أحدهم إذا صح بدنه وأنتجت فرسه وولدت امرأته وكثر ماله وغنمه، رضي واطمأن، وإن أصابه وجع أو أجهضت امرأته أو جاءته بنتا ونقص ماله،

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٤٦٥/٧).

(٢) سورة آل عمران: ١٨٨.

(٣) يُنظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **مرجع سابق**، (٥٣/٢)، الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٤٥٦/٩).

(٤) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٨٣/٢).

(٥) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٤٥٦/٩).

أتاه الشيطان وقال له ما أصابك ما أصابك إلا بسبب هذا الدين فينقلب عن دينه[١]، فبيّن الله سبحانه عاقبة هؤلاء قال تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}[٢] فمن عبد الله على الشك يُذكر بعاقبة أمره وهي خسران دنياه وعدم ظفره بحاجته منها، وخسران الآخرة فإنه معذب فيها بنار الله الموقدة، وذلك هو الخسران والهلاك المبين[٣].

رابعًا: التذكير بأنّ الجزاء من جنس العمل:

وقد تختلف حدّة البيان وشدّته بحسب عظم الذنب وخطره، فعند الحديث عن البراءة من الكافرين يكون البيان أكثر غلظة، ومن ذلك ما وقع مع الصحابي الجليل حاطب ابن أبي بلتعة رضي الله عنه – رغم أنّه من أهل بدر -، وتقديمه لمصلحته الخاصة على المصلحة العامة للمسلمين، وما وقع منه من إعانة الكافرين في حربهم على المسلمين بإفشاء سر رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤]، فجاء الخطاب عامًا بالنهي عن ذلك والتذكير بعاقبة هذا الفعل وخطورته وأنه قد يؤدي للكفر[٥]، فقال تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٥٧٥/١٨)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٣٢٦/٣)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١١٠/٤)، الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٢٠٨/٢٣)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٧/١٢).

(٢) سورة الحج، الآية: ١١.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٥٧٧/١٨)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٣٢٦/٣).

(٤) وقد اختُلف فيمن نزلت هذه الآية، يُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٤٢٧/١)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٤١٩/١).

(٥) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٢١٧/٣)، محمد رشيد رضا، تفسير المنار، **مرجع سابق**، (٢٢٧/٣).

الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاة }[1] ففاعل ذلك ليس من حزب الله ولا من أوليائه في شيء، فبقدر موالاة المسلم للكفار ورغبته في نصرتهم وإعانتهم، تنقطع عنه ولاية الله ونصرته له، فكان الجزاء من جنس العمل[2].

كيف لا وهي من أوثق عُرى الإيمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ "[3].

ويُرخص فقط بالتقية لمن خاف في بعض البلدان والأوقات، على أن تكون تقية باللسان لا ولاء القلب ولا ولاء العمل[4].

كما بيّن سبحانه عقوبة أكل مال اليتيم ظلما الذي هو من كبائر الذنوب، فقد أكل رجل مال ابن أخٍ له كان وليًّا عليه فبيّن الله عاقبة فعله[5] فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}[6] وعاقبة آكِلِها نار تتأجج في أجوافهم وسيصلون نارا محرقة متوقدة وهذا أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار[7].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٢) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٥٧/٤).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ح ١٨٥٢٤، (٤٨٨/٢٠)، وقال المحققون: حديث حسن بشواهده.

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٢٠/٩)، السيوطي، عبد الرحمن ابن أبي بكر، **الدر المنثور**، (بيروت: دار الفكر)، (٧١٨/٢).

(٥) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٥٣/٥)، والواحدي، **أسباب النزول**، تحقيق: عصام الحميدان، ط٢ (الدمام: دار الإصلاح، ١٤١٢هـ)، (١٤٤).

(٦) سورة النساء: ١٠.

(٧) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٢٢٢/٢)، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ١٦٦).

خامسًا: تذكير الساكت عن الإنكار بالمشاركة في الإثم:

كما أنّ الذنوب المؤدية للكفر تكتسب قبحًا من قبح ما تؤدي إليه؛ لذلك كان بيان عاقبتها أن جمع الله من رضي بسماع الكفر والسخرية بآيات الله وجلس في ذلك المجلس ولم يُحرك ذلك فيه ساكنًا أنّه مثلهم، وذلك أنّ بعضًا من المنافقين كانوا يُجالسون المشركين الذين يسخرون من الدين والقرآن(١)، فجاء تذكير هؤلاء بعاقبة فعلهم فقال تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا} (٢)، فذكّرهم الله بأنّ الساكت عن المنكر شريك في الإثم، وأنّ عاقبتهم من جنس فعلهم، فكما اجتمعوا على الإثم، جمعهم الله في جهنم جميعًا؛ إذ إنّكم عصيتم الله بجلوسكم تسمعون الكفر والاستهزاء، كما عصوا باستهزائهم، كما أنّ من رضي بالشيء حكمه حكم المرتكب له تمامًا(٣).

سادسًا: اللعن ودخول النار:

إنّ من كبائر الذنوب قذف ورمي المحصنات العفيفات، حيث أكد النبي صلى الله عليه وسلم على حرمة الأعراض والخوض فيها، وقد كان من آخر وصاياه ما قاله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا،

---

(١) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، **مرجع سابق**، (٣٨٦/١).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٢٠/٩)، الزحيلي، التفسير المنير، **مرجع سابق**، (٣٢١/٥)، ونحوه في: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٢٦/٢)، الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٢٤٧/١١)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٤١٨/٥)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٤٣٥/٢).

فِي بَلَدِكُمْ هَذَا"[١]، وقد وقع قذفٌ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، بل وفي عرضه بأبي هو وأمي، وما جرى من حديث الإفك الذي خاض فيه من خاض[٢]، فجاءت الآيات مُبيّنة ومُذكرة بعقوبة وعاقبة قذف المحصنات، فقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }[٣] فكانت عاقبتهم وعقوبتهم بأن لُعنوا وطُردوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة[٤] وبيّن ما ينتظرهم يوم القيامة من العذاب العظيم الذي سيؤولون إليه جزاء فعلهم الشنيع واجترائهم على الحرمات والأعراض التي حرّمها الله، وأكد اللعنة بأنها متواصلة عليهم في الدارين[٥].

ولعِظم الذنب الذي اقترفوه، كان البيان للعاقبة أكثر تفصيلًا لمزيد من التخويف والردع، حيث ستشهد عليهم كل جارحة بما عملته، ينطقها الذي أنطق كل شيء، فلا يمكنه الإنكار فقال: { يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }[٦] ومن عدله سبحانه بالعباد أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ٤٤٠٦، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، (١٧٧/٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، ح١٢١٨، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، (٨٨٦/٢).

(٢) سبق تخريجها ص٥٠.

(٣) سورة النور، الآية: ٢٣ – ٢٤.

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (١٣٨/١٩).

(٥) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٥٦٥).

(٦) سورة النور: ٢٣ – ٢٤.

جعل شهودهم من أنفسهم(١)، كما ورد بذلك الحديث الذي أخرجه مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ "(٢).

والتذكير بكل هذه العقوبات والعواقب تعظيمًا لحرمة الأعراض.

إنّ على المربي والموجه والناصح أن يُذكّر بعاقبة وعقوبة الذنب قبل أن يُباشر العقوبة وقبل أن يُعنّف من تحت يده، حتى يقيم عليه الحجة الواضحة البيّنة متبعًا في ذلك طريقة القرآن في بيان العاقبة والعقوبة، وعادة ما يكفي هذا البيان غالب المذنبين ليتوبوا ويقلعوا عن الذنب الذي قارفوه ووقعوا فيه، وهذا هو المرجو والمطلوب.

---

(١) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (٥٦٥)، ونحوه في: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٣٩٦/٣)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٧٤/٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ح٢٩٦٩، كتاب الزهد والرقاق، (٣٢٨١/٤).

المطلب الخامس: التذكير بالموت والحساب:

خلق الله الخلق لعبادته، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالخير والشر، وابتلاهم بالموت والحياة، كل ذلك فتنة ليبلوهم أيهم أحسن عملا[١]، وأنّ مصيرهم جميعا ومرجعهم إليه وسيحاسبهم على أعمالهم، إن خيرا فخير وإن شرا فشر[٢]، قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [٣] وقال تعالى: {الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا }[٤] وقال: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [٥].

فإنّه لا ينجو من الموت أحد قال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}[٦] وقال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ} [٧]فإنّ كل أحد صائر إلى الموت لا محالة، ولا ينجيه من ذلك شيء، وسواء عليه استعد له وعمل أم غَفِل ولم يستعد ولم

---

(١) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٥٢٣).
(٢) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٤٥٢/٧).
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.
(٤) سورة الملك، الآية: ٢.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.
(٦) سورة الرحمن، الآية: ٢٦– ٢٧.
(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

يعمل، فإن له أجلا محتوما وأمدا مقسوما [١].

وأبلغ ما يُذكّر به المذنب هو الموت والحساب، إذ قد ينشغل المؤمن بالدنيا ويلهو بها، فتحيده عن العمل الصالح وتنسيه ذكر الموت والمرجع والحساب، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ" يَعْنِي الْمَوْتَ "[٢]. وفيما يلي بيان طريقة القرآن في تذكير المؤمنين بالموت والحساب.

أولًا: تذكير الذين تخلفوا عن القتال بالموت:

كان قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يفرض عليهم الجهاد، وكانوا يسألون الله أن يفرض عليهم، فلما فُرِض عليهم القتال شقَّ ذلك عليهم، وقالوا ما حكاه الله عنهم[٣]، فقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ }[٤]، فذكرهم بالموت وأنه أينما كنتم ولو تحصنتم بالحصون المنيعة فإن الموت واصل

---

(١) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٣٦٠/٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، ح٢٤٦٠، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، (٦٣٩/٤)، وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال الألباني: (مذيل الكتاب بأحكامه): ضعيف جدا لكن جملة هادم اللذات صحيحة، وابن ماجة في سننه، ح٤٢٥٨، أبواب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، (٣٢٦/٥)، وقال المحققون: إسناده حسن من أجل محمَّد بن عمرو، وهو ابن علقمة الليثي، وباقي رجاله ثقات.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق** (٥٤٧/٨).

(٤) سورة النساء، الآية: ٧٨.

إليكم، فلا تجزعوا منه وتهربوا من القتال وتضعفوا عن قتال عدوكم خوفا على أنفسكم من القتل والموت(١). وتضـــمن تحقير الدنيا، وأنه لا منجى من الفناء والانتقال إلى دار الخلود(٢) عن طريق الجهاد فإنه موت يوصل لسعادة الآخرة، فإذا كان لا بد من الموت، فالأولى أن يقع على وجه يكون سببا للسعادة الأبدية من أن لا يكون كذلك(٣).

ثانيًا: تذكير الأوس والخزرج عند تنازعهم بالموت:

كما أنّه حينما تشـاجر الأوس والخزرج بعد إسـلامهم وكادوا أن يتقاتلوا(٤)، ذكّرهم الله تعالى – بعد أن تعجب مما فعلوه من عودة للحمية الجاهلية - بالموت فقال: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }(٥) فقوله { ولا تموتنّ } أي بتذكير أنفسهم بأنّ الموت يأتي بغتة، وعليهم أن يحافظوا على الإسلام ويتركوا ما كانوا عليه في الجاهلية -وهم كفار- أبدا حتى يموتوا على الإسـلام؛ فإنّه من عاش على شـيء مات عليه، ومن

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق** (٥٥١/٨ – ٥٥٢)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سـابق**، (٣٦٠/٢)، وأبو السـعود، إرشـاد العقل السـليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سـابق**، (٢٠٤/٢).

(٢) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٨٠/٢)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢٠٤/٢).

(٣) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (١٤٤/١٠).

(٤) يُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسـير القرآن، **مرجع سـابق**، (٤٧٩/١)، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سـابق**، (٦٤/٧)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسـير الكتاب العزيز، **مرجع سـابق**، (٤٨٢/١)، والرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٠٨/٨).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

مات على شيء بُعث عليه[١].

ثالثًا: تذكير المضمرين للباطل بالموت والحساب:

كان من المنافقين من إذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمرًا قالوا طاعة، ثمّ إذا خرجوا من عنده غيروا كلامهم[٢]؛ فذكّرهم الله بالحساب قال تعالى: { وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَايِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِى تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ }[٣]، فذكّرهم بأنهم سيحاسبون على كل ما قالوه وأنه يحفظه عليهم وسيجازيهم عليه أتم الجزاء، وأنه لن يفلتهم من عقابه، فلا يغرنهم تأخر العذاب مدة[٤].

والتذكير بالموت والحساب فيه تحذيرٌ وحثٌّ على العمل، وحثٌّ على التوبة والإقلاع عن الذنوب ورد الحقوق إلى أهلها قبل الموت[٥]، فإنّ نفور المذنبين من الموت ووحشتهم منه يكون بسبب ذنوبهم ومعاصيهم[٦] قال تعالى: { وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ } [٧]؛ ولهذا كان التذكير بالموت وما بعده، ليستعد الإنسان لذلك اليوم بالإكثار من الصالحات والإقلاع عن الذنوب والسيئات طيلة حياته؛ لأنّ الموت إذا جاء لم يكن للعبد أن يأتي بمثقال ذرة من الخير،

---

(١) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٨٧/٢).

(٢) يُنظر: **المرجع السابق**، (٨٧/٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٨١.

(٤) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق** (ص: ١٨٩)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٨٣/٢)، والرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (١٥١/١٠)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٨٩/٥)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٣٦٤/٢)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، ١٣٦/٥.

(٥) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٥٤/١٥).

(٦) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق** (ص: ٨٦٣).

(٧) سورة الجمعة، الآية: ٧.

بل سيتحسر على ما فرّط في وقت استطاعته متمنيا أن يؤخر الله قبض روحه ليتدارك ما فرّط فيه بأداء المأمورات واجتناب المنهيات لينجو من العذاب، ولكن هيهات[١] قال تعالى: { وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }[٢] فعلى كل مذنب أن يستعد لمماته ولحسابه؛ فإنّ في ذلك الموقف تفاوت كبير حتى بين المؤمنين أنفسهم، والإكثار من تذكر الموت يعين النفس على المثابرة في العمل والإقلاع عن الذنوب والمعاصي قال صلى الله عليه وسلم: "أكثروا من ذكر هادم اللذات"[٣].

(١) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق** (ص: ٨٦٥).
(٢) سورة المنافقون، الآية: ١٠ – ١١.
(٣) سبق تخريجه ص٨٩

المبحث الثالث:

أسلوب الحوار، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحوار لأجل العتاب.

المطلب الثاني: الحوار لأجل المواجهة.

مدخل

لم يرد الحوار بهذا اللفظ في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، في سـورة المجادلة في قوله تعالى: { والله يسمع تحاوركما }(١) إلا أنّ معناه حاضرٌ وشاهدٌ في مواقف عديدة(٢).

إنّ من أهم الأساليب في التعامل مع المذنبين هو أسلوب الحوار، وهو طريقة الأنبياء في الدعوة، فبه يُعلم الجاهل ويُبصّر الغافل ويُقوّم المذنب، وقد جاء القرآن مستخدما هذا الأسلوب، مراعيا اختلاف كل مذنب عن الآخر في مستوى الخطاب في مواجهته بذنبه، فتارة يُلحقه بالتذكير بالله، وتارة بالتهديد... وغير ذلك.

وقد ابتدأ الله تعالى محاورة إبليس _وهو رأس كل فساد ووراء كل ذنب_ ووجه إليه السؤال صراحة(٣) بعد عصيانه وعدم استجابته لأمر الله له بالسجود، فقال تعالى: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١.

(٢) يُنظر: محمد الدويش، التربية النبوية، **مرجع سابق**، (٤٧٥).

(٣) يُنظر: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، **التفسير الوسيط**، (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤١٤هـ)، (٥٤٢/٥).

تَسْـجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ}[1] فكان استفهاما مشوب بالتوبيخ، والمقصود منه إظهار مقصد ومخالفة إبليس للملائكة[2].

كما حكى الله تعالى في كتابه مواجهة الأنبياء لأقوامهم المذنبين، فمنه ما حكاه عن مواجهة عزيز مصر لنساء المدينة وامرأته بعدما علم من ظلمهن ليوسف عليه السلام حينما راودنه عن نفسه[3]، قال تعالى حكاية عن قوله: {قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ}[4] فواجههن الملك بجرمهن صراحة، فلم يكن لهن بُدا من الاعتراف والاستسلام حيث لا يستطعن الإنكار[5]، قال الله تعالى حكاية لقولهن: {قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ}[6]، وما حكاه الله عن الأنبياء مع أقوامهم كثير، وفيما يلي بيان لتوجيه الخطاب وحوار الله تعالى للمذنبين في زمن نزول القرآن.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢.
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٨-ب/٣٩).
(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، **مرجع سابق**، (١٩٩٥/٤).
(٤) سورة يوسف، الآية: ٥١.
(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، **مرجع سابق**، (١٩٩٥/٤).
(٦) سورة يوسف، الآية: ٥١.

المطلب الأول: الحوار لأجل العتاب:

يُعدُّ العتاب من أهم أساليب التعامل مع المذنبين، خاصة إذا كان المذنب من المقربين أو كان المربي والموجه ممن له مكانة في نفس المذنب، فإنّ العتاب يكون له بالغ الأثر في نفس المذنب مما يجعله يُراجع نفسه ويرجع عن ذنبه، وقد يكون العتاب على غير ذنب كعتاب أهل الفضل وذلك لمخالفتهم الأولى، فكما قيل حسنات المؤمنين سيئات المقربين.

كما جاء عتاب الله للمذنبين من المؤمنين في عدة مواضع، من ذلك:

أولًا: عتاب الفارين والمنهزمين يوم أحد:

وقد عاتب الله المؤمنين على ما بدر منهم عندما قالوا لو علمنا ما أحب الأعمال عند الله لعملناه، فأنزل الله الأمر بالقتال، ففروا يوم أُحد، ولم يمتثلوا ما قالوه فعاتبهم الله على ذلك[1] وقد كانوا تمنوا أن ينالوا أجور أصحاب بدر[2]، قال تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا

---

(1) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٥٠/٢٣) والبغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٧٩/٥).

(2) يُنظر: سيد رشيد رضا، تفسير المنار، **مرجع سابق**، (١٢٩/٤).
أخرجه الترمذي في سننه، ح ٣٣٠٩، أبواب التفسير، باب ومن سورة الصف، (٤١٢/٥) وقال الألباني: صحيح الاسناد.

تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }[١] ونزل قوله تعالى: { وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ }[٢] وشملت عتاب الذين انهزموا وضعفوا عندما أُشيع مقتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحد وقالوا لو كان نبيًا ما قُتل[٣] فجاءت (الآية عتاب في حق من انهزم، لا سيما وكان منهم حَمْلٌ للنبي صلى الله عليه وسلم على الخروج من المدينة)[٤] فهو عتاب على أنهم تمنوا الشهادة ولكنهم لم يثبتوا حتى يستشهدوا، ولتمنيهم الحرب وتسببهم لها ولكنهم كانوا سببً للهزيمة[٥]، كما أنهم خالفوا النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الرماة المكان الذي أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم التزامه، وانشغلوا بجمع الغنائم، وتفرقوا وتنازعوا فعوقبوا على ذلك بالهزيمة[٦]، وعوتبوا على مقالتهم {أنَّى هذا}[٧] قال تعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٨].

---

(١) سورة الصف، الآية: ٢ – ٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٣ – ١٤٤.

(٣) أصل القصة عند الترمذي في سننه، ح٣٣٠٩، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الصف، (٤١٢/٥)، قال الألباني: صحيح الإسناد.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٢١/٤).

(٥) يُنظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٢، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ) (٢٨٦/٢).

(٦) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٤٢٠/٩).

(٧) يُنظر: ابن جزي، محمد بن أحمد، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، (بيروت: دار الأرقم، ١٤١٦هـ) (١٧٠/١).

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.

ثانيًا: عتاب الذين تخلفوا عن غزوة تبوك:

وقد عاتب الله الذين تخلفوا عن النبي صـــلى الله عليه وســـلم في غزوة تبوك[١]، حيث تكاسلوا عن الخروج إذ كانت في حر شديد وسفر بعيد وقلة العدة والمتاع – لذلك سميت غزوة العسـرة – ومالوا إلى الظلال والثمار[٢] فقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَـــبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِـــيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ}[٣] فهل رضيتم بحظ الدنيا والراحة فيها عوضًا وبديلًا من نعيم الآخرة وما أعدّ الله للمتقين في جنانه[٤]، وخُص بالعتاب والتذنيب الشـــديد، الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، وذلك لمكانتهم من الصـــحبة إذ هم من أهل بدر وممن يُقتدى بهم، وكان تخلفهم لغير عذر[٥].

ثالثًا: عتاب من نشر الشائعات:

كان من بعض المنافقين إشـــاعة الأخبار المُوهِنة والمرجفة لزعزعة الأمن وتخويف المؤمنين، فجاء عتاب المؤمنين الذين ضعفوا بنشر هذه الإشاعات[٦]، فقال تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ

---

(١) القصـة مطولة أخرجها البخاري في صـحيحه، ح ٤٤١٨، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله تعالى {وعلى الثلاثة الذين خلفوا}، (٣/٦)، وأخرجها مسلم في صحيحه، ح٢٧٦٩، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ٢١٢٠/٤.

(٢) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سـابق**، (١٥٣/٤)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٣٤/٣)، والقرطبي، الجامع للعلوم والحكم، **مرجع سابق**، (١٤٠/٨)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (١٩٦/١٠).

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٨.

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سـابق**، (٢٥٢/١٤)، والبغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٣٤٨/٢).

(٥) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٣٤/٣).

(٦) يُنظر: ابن عاشـور، التحرير والتنوير، **مرجع سـابق**، (١٤٠/٥)، والبغوي، معالم التنزيل، **مرجع سـابق**، (٦٦٧/١)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسـير الكتاب العزيز، **مرجع سـابق**، (٨٤/٢)، وتفسـير الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (١٥٣/١٠)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٩١/٥).

مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْـلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّـيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}[1]، فعاتبهم على رواجها عند بعضهم فسمعوا تلك الأخبار وأذاعوا بها، فتمّ للمنافقين مرادهم من تخويف المؤمنين وإضعافهم، فعاتبهم الله على ذلك وأمرهم بردّه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقادة الصحابة؛ ليضعوه في موضعه ويسلموا من مكر المنافقين[2].

إنّ الأخبار المرسلة يعتريها الكذب والإرجاف، فقد تكون حقا ولا يجوز إذاعتها؛ لما فيها من هتك لذنب مستور وعورة مغطاة، وقد يكون في إظهارها إرجاف وتثبيط للمؤمنين؛ لذلك نهى الله عن إذاعتها قبل عرضها على أهل المعرفة بها؛ فإنهم يستوثقون من الأخبار، ويعرفون صحيحها من ضعيفها والصالح منها للإذاعة وغير الصالح[3].

وكذلك عوتب المؤمنون على ما أشاعه المنافقون في حادثة الإفك المختلقة على عرض أمّنا عائشة رضي الله عنها، فراجت على بعضهم وتناقلوها ووقعت في نفوس بعضهم[4]، ومنهم من أنزل الحدث على نفسه فكذبها، كما حصل بين أبي أيوب الأنصاري[5] وامرأته: أَنَّ امْرَأَةَ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَتْ لَهُ حِينَ قَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّ أَيُّوبَ: أَكُنْتِ تَفْعَلِينَ ذَاكَ؟ فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ. فَقَالَ: فَعَائِشَةُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْكِ وَأَطْيَبُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ} يَعْنِي قَوْلَ أَبِي أَيُّوبَ لِأُمِّ أَيُّوبَ وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ قَالَ لَهَا: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا لَهَا: هُوَ إِفْكٌ[6].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (١٤٠/٥)، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٥٧١/٨)، والبغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٦٦٧/١).

(٣) يُنظر: الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٩٠٥/٢).

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (١٢٨/١٩)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٠٢/١٢).

(٥) هو خالد بن زيد بن كُليب الخزرجي النجاري البدري، الذي خصه النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول عليه في بني النجار إلى أن بُنيت له حجرة أم المؤمنين سودة، وبنى المسجد الشريف. له عدة أحاديث، وتوفي سنة اثنتين وخمسين. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٤٠٢/٢، ٤١٢).

(٦) أخرجه إسحاق ابن راهويه، **مسند إسحاق ابن راهويه**، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، (المدينة المنورة: مكتبة الإيمان، ١٤١٢هـ)، ح١٦٩٨، (٩٧٨/٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، ح١٤٢٢١، (٢٥٤٦/٨)، وإسناده حسن إن كان الرجال الذين لم يسموا من الصحابة. يُنظر: نبيل البصارة، **أُنيس الساري في تخريج**

وهذا (هو الذي عاتب الله المؤمنين إذ لم يفعله جميعهم) [1]، فقد كان الواجب على المؤمنين أن يقيسوها على أنفسهم فإن كان يبعد عنهم فأمّ المؤمنين رضي الله عنها أبعد وأطهر، فضلًا عن أن يتناقلوه على جهة الحكاية والنقل، بل كان لابد من إنكاره وتكذيبه، فقال تعالى مُعاتبًا لهم[2]: { لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ }[3].

ثمّ كرر العتاب سبحانه في قوله تعالى: { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[4] فإنه لولا رحمة الله لنالكم العذاب بسبب خوضكم في عرض زوج النبي صلى الله عليه وسلم وتناقلكم له[5].

قال القرطبي[6]: (هذا عتاب من الله بليغ، ولكنه برحمته ستر عليكم في الدنيا، ويرحم من أتاه تائبًا في الآخرة) [7].

وتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر في فتح الباري، (بيروت: مؤسسة السماحة، ١٤٢٦هـ)، (١٠٦٦/١١).

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٧٠/٤)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٠٢/١٢).

(٢) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٧٠/٤ – ١٧١)، الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٤١/٢٣)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٢٧/٦).

(٣) سورة النور، الآية: ١٢.

(٤) سورة النور، الآية: ١٤.

(٥) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٠٣/١٢)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٧٠/٤).

(٦) هو محمد بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري الخزرجي المالكي، أبو عبد الله القرطبي، صاحب التفسير، إمام متفنن متبحر في العلم، وقد سارت بتفسيره الركبان وهو تفسير عظيم في بابه. له كتب تدل على إمامته وكثرة اطلاعه منها: الأسنى في أسماء الله الحسنى والتذكرة. توفي سنة٦٧١هـ. يُنظر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ)، (٢/ ٨٧)، وأحمد بن محمد الأدنهوي، **طبقات المفسرين**، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، (السعودية: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ)، (٢٤٦).

(٧) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٠٣/١٢).

ثم عاتبهم ثالثة فقال: { وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ }[1] فيها عتاب لجميع المؤمنين فإن الواجب عليكم إنكاره وعدم تناقله ولا على سبيل الحكاية، وتنزيه الله عن أن يقع هذا من زوج نبيه عليه الصلاة والسلام وأن تحكموا على هذه المقالة بأنها بُهْتانٌ وكذب وافتراء[2].

رابعًا: عتاب الذين قست قلوبهم:

كما عاتب الله قومًا من المؤمنين استبطأ قلوبهم وأراد أن يحضهم على إيقاظ قلوبهم من الغفلة والقسوة لتخشع عند سماع القرآن والذكر[3]، قال تعالى: { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ }[4] فعن ابن عباس أنه قال: (إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا)[5].

فكان الخطاب سؤال عتاب (ألم يحن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم ترق وتلين وتخضع لذكر الله)[6] (والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه)[7]، ثم حذرهم من أن يصيروا إلى ما صارت عليه قلوب أهل الكتاب عندما طال العهد بينهم وبين أنبيائهم فقست

---

(١) سورة النور، الآية: ١٦.

(٢) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٧١/٤)، الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٤٣/٢٣).

(٣) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، **مرجع سابق**، (٣٤٨٨/٦ – ٣٤٨٩)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٢٦٤/٥)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٤٩/١٧).

(٤) سورة الحديد، الآية: ١٦.

(٥) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٢٠/٥).

(٦) البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٣٠/٥)، الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٤٦٠/٢٩).

(٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٩/٨).

قلوبهم وجمدت وغفلت وأعرضت[١].

فإنّهم لما قدموا المدينة، أصابوا من لين العيش بعد أن كانوا في جهد جهيد، فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا[٢]، قال ابن مسعود[٣]:" مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ} إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ "[٤].[٥]

خامسًا: عتاب الذين اختاروا فداء الأسرى:

عاتب الله المؤمنين على ما كان من أخذهم الفداء من الأسرى دون قتلهم وذلك قبل تمكن المؤمنين فقد كانوا حينها ضعفاء ولم تكن لهم قوة[٦]، فأنزل الله:{ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[٧] فعاتبهم الله على اختيارهم الفداء وذلك حين شاورهم النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعله في الأسرى فاختاروا الفداء وأنهم ما

---

(١) يُنظر: المراغي، تفسير المراغي، **مرجع سابق**، (١٠٤/٢٨)، والبغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٣٠/٥)، الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٤٦١/٢٩).

(٢) يُنظر: المراغي، تفسير المراغي، **مرجع سابق**، (١٧٢/٢٧).

(٣) هو عبد الله ابن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي. فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي. شهد بدرًا وهاجر الهجرتين، وروى علمًا كثيرًا. توفي سنة اثنتين وثلاثين. روى له البخاري ومسلم عدة أحاديث يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، **مرجع سابق**، (٤٦١/١، ٤٩٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، ح٣٠٢٧، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع..}، (٢٣١٩/٤).

(٥) ولعلّ المقصود بقول ابن عباس بثلاثة عشر سنة أنها منذ بدء نزول الوحي كما بيّن ذلك، أما قول ابن مسعود فقد بيّن أنها أربعة سنين من إسلامه رضي الله عنهما، والله أعلم.

(٦) يُنظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، **مرجع سابق**، (٨٨/١٠)، ابن عطية، لمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٥٥١/٢).

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٦٧ – ٦٨.

راعوا فيه نفع الدين وما يعود عليه بالقوة وقدموا نفع أنفسهم[١] مما يعرض لهم من مال ومتاع يفتدي به المشركون، وكان الأولى قتلهم، لتثخنوا في الأرض وتتقووا على أعدائكم[٢].

فالعتاب من أساليب القرآن المؤثرة في المذنبين، خاصة في ذوي القلوب اليقظة قليلة الغفلة، فإنها سرعان ما تتأثر بالعتاب وتمتثل وتتذكر، بخلاف المعاندين والمصرّين فإنهم لا يُجدي معهم العتاب غالبًا، وهم بحاجة إلى أسلوب أشد وأقوى.

المطلب الثاني: الحوار لأجل المواجهة:

إنّ الطبيعة البشرية قائمة على الاختلاف، فكل إنسان يختلف في ذكائه وفهمه ومدى استيعابه، فبعض المذنبين لا يدرك التعريض بالخطاب، ولا تؤثر فيه الموعظة العامة، فهو بحاجة إلى توجيه الخطاب المباشر والصريح الذي يُبين له ذنبه؛ لذلك كانت المواجهة بالذنب أحد الأساليب الهامة في التعامل مع المذنبين.

أولًا: مواجهة العصاة يوم أحد:

وقد أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يواجه أصحابه عندما انهزم المسلمون يوم أحد وتساءلوا عن سبب ذلك[٣] _ وكيف أصابهم ما أصابهم وهم أصحاب الدين الحق وبرفقة النبي صلى الله عليه وسلم_[٤] ؛ قال تعالى: { أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا

---

(١) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، **مرجع سابق**، (٧٦/١٠).

(٢) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٥٩/١٤)، والبغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٣١٠/٢).

(٣) أصل القصة عند أحمد في مسنده، ح٢٠٩، (٣٣٦/١)، قال المحققون: إسناده حسن، ورجاله رجال الصحيح.

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**،(٣٧١/٧)، البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٥٣٢/١).

قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[١] أجابهم الله بمواجهتهم بذنبهم وأنّ ذلك حصل لعصيانكم الرسول حينما أبيتم إلا الخروج من المدينة إلى أحد، وكان قد رأى صلى الله عليه وسلم قتال المشركين في المدينة، وكذلك ما حصل من فشلكم وتنازعكم ومفارقتكم لجبل الرماة الذي أمركم النبي صلى الله عليه وسلم بعدم مغادرته واشتغالكم بطلب الغنيمة[٢].

فبعد مواجهتهم تقرر لديهم أنّ عصيانهم سبب لخذلان الله لهم وهزيمتهم[٣]، إلا أنّ الله ختم الآية بأنّه على كل شيء قدير، تحذيرًا لهم، (فإياكم وسوء الظن بالله، فإنه قادر على نصركم، ولكن له أتم الحكمة في ابتلائكم ومصيبتكم، قال تعالى: { وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ }[٤])[٥].

ثانيًا: مواجهة المتخلفين عن الحديبية:

وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمواجهة الذين تخلّفوا عن الحديبية وتحججوا بالانشغال، كما حكى الله عنهم: { سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ...

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.

(٢) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٤٢٠/٩)، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**،(٣٧١/٧)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٥٣٨/١)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٦٥/٤)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٥٩/٢)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (١٠٩/٢).

(٣) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**،(١٦١/٤)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (١٠٩/٢).

(٤) سورة محمد، الآية:٤.

(٥) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ١٥٦).

}[1] ثم أرادوا اللحاق بهم في خيبر لينالوا من الغنيمة[2]، قال تعالى: { سَـيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَـانِمَ لِتَـأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَـيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا }[3] فإنّهم لمّا رأوا مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود، والمسلمين حينئذ عدو مستضعف، طلبوا أن يتبعوه ويخرجوا معه رغبة في عرض الدنيا والغنيمة، لا رغبة في ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم والقتال معه[4]، فأمر الله النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم صراحة: {لَنْ تَتَّبِعُونا} ولن تسيروا معنا في خيبر، وأن غنيمة خيبر خاصة لمن شهد الحديبية ليس للمتخلفين عنها نصيب[5].

ثالثًا: مواجهة أصحاب الإفك:

كما خاطب تعالى أصحاب الإفك الذين افتروا على عرض النبي صلى الله عليه وسلم في زوجه عائشة الطاهرة رضي الله عنها، وكل من شارك في الإفك بسماع أو نقل[6]، فقال تعالى: { إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١١.

(٢) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**،(٢١٥/٢٢)، البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٢٢٦/٤).

(٣) سورة الفتح، الآية: ١٥.

(٤) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٣١/٥).

(٥) الزحيلي، التفسير المنير، **مرجع سابق**، (١٧٢/٢٦)، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**،(٢١٧/٢٢)، البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٢٢٦/٤)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٣٣٧/٧).

(٦) سبق تخريج القصة ص٥٠.

}[١] فوجّه إليهم الخطاب ببيان جرمهم وشناعته لقبولهم الخوض في عرض النبي صلى الله عليه وسلم، وسماعه وتناقله وإشاعة الفاحشة[٢]، إذ كان الرجل (يلقى الرجل فيقول له ما وراءك؟ فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع واشتهر فلم يبق بيت ولا نادٍ إلا طار فيه، فكأنهم سعوا في إشاعة الفاحشة)[٣]، بل وزيادة على ذلك واجههم بأنه لا علم لكم بصحته وصدقه، فآذيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليلته[٤]، وتحسبون الخوض فيه وإذاعته وإشاعته هينًا[٥]، فلو لم تكن زوجة النبي صلى الله عليه وسلم لما كان هينا، فكيف وهي زوجة النبي صلى الله عليه وسلم؟![٦] فإنه (لا يجوز الإخبار إلا مع العلم فأما الذي لا يُعلم صدقه فالإخبار عنه كالإخبار عما عُلم كذبه في الحرمة)[٧]، قال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}[٨]، وإشاعة الفاحشة إن كانت وقعت ذنب عظيم، فكيف بإشاعتها وهي إفك وكذب؟!

رابعًا: مواجهة السارق وقومه:

---

(١) سورة النور، الآية: ١٥.

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**،(١٣٠/١٩).

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٤٢/٢٣).

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**،(١٣٢/١٩)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٢٨/٦)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (١٦٢/٦).

(٥) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٧١/٤).

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٢٨/٦).

(٧) الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٤٣/٢٣).

(٨) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

في قصة السارق المسلم -الذي سرق درعًا ورمى بالتهمة يهوديًا-[1] الذين جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليعذروا صاحبهم ويدافعوا عنه[2]، واجههم الله تعالى بقوله: { هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا }[3] وهنا تلوين للخطاب وتوجيهه إليهم بطريق الالتفات إيذانا بأن تعديد جنايتهم – شهادة زور ومعاونة على الإثم - يوجب مواجهتهم بالتوبيخ والتقريع[4]، والمعنى إنكم جادلتم وخاصمتم ودافعتم عن السارق الخائن في الدنيا، فمن سيجادل ويخاصم عنه أمام الله يوم الحشر ويدفع عنهم ما الله فاعل بهم ومعاقبهم به[5].

خامسًا: مواجهة المتخلفين عن غزوة تبوك:

أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بمواجهة الذين تخلفوا عن الخروج معه إلى تبوك بلا عذر، فقال تعالى: { فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ۞ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِينَ }[6]، فأمره بأن

---

(١) أصل القصة عند الترمذي في سننه، ح٣٠٣٦، أبواب التفسير، باب ومن سورة النساء، (٢٤٤/٥)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وحسنه الألباني.

(٢) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**،(١٨٢/٩)، البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٦٩٩/١)

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٩.

(٤) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢٣٠/٢).

(٥) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**،(١٩٣/٩)، البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٦٩٩/١)، الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٢١٤/١١)، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ٢٠٠)، وفي ظلال القرآن (٧٥٥/٢).

(٦) سورة التوبة، الآية: ٨٣.

يواجههم بفعلهم بعد عودته[١] بقوله: {إِنَّكُمْ رَضِـــيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} ثم كان الجزاء من جنس العمل أن منعوا من الخروج معه بعد ذلك[٢].

سادسًا: مواجهة المستهزئين:

أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم بمواجهة الذين سخروا واستهزأوا به وبصحابته، فقد رُوي أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك[٣] في غزوة تبوك: ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء! فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم! فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، قال عبد الله بن عمر: فنظرت إليه متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة، يقول: (إنما كنا نخوض ونلعب) ! فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم: (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) ؟ ما يزيده[٤]، فجاءت الآيات المواجهة لهم، قال تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ }[٥] قل لهم يا محمد

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**،(٤٠٣/١٤)، البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٣٧٥/٢)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٩٢/٤).

(٢) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٩٢/٤)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٨٩/٤).

(٣) هو عوف بن مالك الأشجعي الغطفاني. شهد فتح مكة وغزوة مؤتة روى عددًا من الأحاديث، كان من نبلاء الصحابة، وروي أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون من أهل شفاعته، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " إنكم من أهل شفاعتي" أخرجه أحمد وإسناده صحيح، توفي سنة ثلاث وسبعين. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، **مرجع سابق**، (٤٨٧/٢).

(٤) أخرجه الطبراني في معجمه، ح١٧٣، (٨٥/١٩)، قال محقق تفسير الطبري –أحمد شاكر-: إسناده صحيح.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٦٥ – ٦٦.

غير ملتفت إلى اعتذارهم، مواجهًا لهم بجناياتهم، منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم على أخطائهم، مقررا إياهم {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ} ويتضمنه وعيد لهم(١).

فلما واجهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم قالوا ذلك خافوا واعتذروا عنه بأنا إنما قلنا ذلك على وجه اللعب لا على سبيل الجد، ثم قال موبخا لهم لا تعتذروا كأنه قال لا تفعلوا ما لا ينفع(٢).

وعلى الموجّه والمربي والناصح مراعاة المقام المناسب مع الحال المناسبة عند استخدام هذا الأسلوب، فإنّ مواجهة المذنب بذنبه أمام الناس مثلًا قد تكون مفسدة أكثر من كونها مصلحة في كثير من الأحيان، فليحذر من ذلك، وليكن حكيمًا في مواجهته ومحاورته حتى لا تأخذ المذنب العزة بالإثم والذنب.

---

(١) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٥٥/٣)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٧٩/٤ – ٨٠).

(٢) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٥٥/٣)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٩٨/٨)، الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٩٤/١٦)، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ٣٤٢).

المبحث الرابع:

أسلوب التصحيح، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تصحيح المفاهيم.

المطلب الثاني: التصحيح بتقديم البديل.

مدخل

إن مما يُعين المذنب للإقلاع عن ذنبه والتوبة والرجوع عنه، أسلوب التصحيح، فبه تُصحح المفاهيم، وبه تُقوَّم الأفعال، ويظهر أثره أكثر إن كان مصحوبا بتقديم البديل الصحيح الخالي من المحاذير الشرعية، فيكون عونًا للمذنب على التوبة.

المطلب الأول: تصحيح المفاهيم:

قد يكون ذنب الإنسان ناتجًا عن مفاهيم ومعتقدات وتصورات خاطئة، وهي مما تجعله يستمر فيما هو عليه من ذنوب، لذلك مكث النبي صلى الله عليه وسلم مدة ليست باليسيرة يُصحح فيها المفاهيم والمعتقدات، دون أن يتطرق للسلوكيات، وذلك لاقتلاع جذور المفاهيم الباطلة، ومن هذا المنطلق كان من أساليب القرآن في التعامل مع المذنبين تصحيح المفاهيم وفيما يلي عرض لبعض طرق القرآن في تصحيح المفاهيم.

أولًا: تصحيح مفهوم الإيمان والإسلام:

جاءت جماعة من الأعراب إلى النبي صلى الله عليه وسلم[١] وسمّوا أنفسهم مؤمنين، وهم لم يحققوا الإيمان الذي يكون بالقلب والقول والعمل، فبيّن سبحانه وتعالى حقيقتهم[٢] فأنزل تعالى: { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ }[٣]، ففي الآيات تصويب لقولهم وفهمهم، وذلك بأن أمرهم أن يقولوا قولا لا يختلط على السامع وهم فيه مُحقون[٤]، إذ من معاني الإسلام الاستسلام بنطق الشهادة الذي يُعصم به الدم، وهذا هو المقصود من قولوا أسلمنا[٥]،وأظهر المفهوم الحقيقي لكل من الإيمان والإسلام في مثل سياق هؤلاء الأعراب وأنّ هناك فرقًا بينهما، فهم (مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقامًا أعلى مما وصلوا إليه، فأُدبوا في ذلك)[٦] بأن يقولوا قولا عاما لا يكون عليهم كذبًا، وهو قولهم أسلمنا، إذ أنّ الانقياد قد حصل منهم[٧].

ثانيًا: تصحيح مفهوم شرط عصمة الدم:

كما خاطب سبحانه وتعالى المؤمنين مصححًا لهم ظنهم بأنّ الكافر المتعوذ بنطق الشهادتين أنها لا تدفع عنه القتل، فقد كانت سرية للنبي صلى الله عليه وسلم تريد قتال فئة من الكفار[٨]، فنطق

---

(١) سبق تخريجه ص٥٤.
(٢) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق،** (٣١٦/٢٢).
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٤.
(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق،** (٣١٦/٢٢).
(٥) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق،** (١٥٣/٥).
(٦) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق،** (٣٨٩/٧).
(٧) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق،** (١١٦/٢٨).
(٨) سبق تخريجها ص٦٩.

رجل منهم قولًا ما يدل على إسلامه[١]، فقتله أحد الصحابة[٢]، فأنزل الله قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }[٣] (فلا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم، مظهرا لكم أنه من أهل ملتكم ودعوتكم "لست مؤمنا"، فتقتلوه)[٤]، (بل اقبلوا منه ما أظهره وعاملوه بموجبه)[٥] فإنّ من قال لا إله إلا الله فقد عصم دمه وماله ولا يجوز قتله، والقاتل رضي الله عنه تأول بأنّ الذي يعصم الدم قولها مطمئنا، ومن قالها مُتَعوذًا لا تعصمه، فجاء الخطاب مُصححًا لهم هذا الفهم[٦]. فجاءت الآية تُبيّن وتُصحح مفهوم الحكم على الناس، وأنّه ليس لأحد أن يحكم على أحد إلا بما ظهر منه، وأن السرائر أمرها إلى الله

---

(١) على خلاف بين المفسرين فيما هو (السَّلم) فمنهم من قال بأنه الشهادتين، ومنهم من قال بأنه تحية المسلمين، ومنهم من قال بأنه استسلم لكم وأظهر دعوتكم. يُنظر: البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٦٨١/١)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٩٦/٢)، والرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (١٨٩/١١).

(٢) (اختلف المفسرون في تعيين القاتل والمقتول في هذه النازلة) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٩٦/٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٤) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٧٠/٩)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣٣٨/٥).

(٥) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢١٨/٢).

(٦) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣٣٨/٥).

قال القرطبي – رحمه الله -: (الأحكام تناط بالمظان والظواهر، لا على القطع واطلاع السرائر)[١].

ثالثًا: تصحيح مفهوم أن منع الزكاة غنى:

خاطب الله تعالى الذين منعوا زكاتهم ولم يخرجوها لأهلها بقوله: { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠) }[٢] فلا يعتقد البخيل ومانع الزكاة أن جمعه للمال ينفعه ويغنيه ويزيد من خيراته، بل الفهم الصحيح أنّه في الحقيقة شر له في دنياه بمحق البركة وبقاء المال في يده لا ينفعه ولا يقضي حاجته، وشر له في أخراه، وذلك لأنه سيلقى عقاب بخله وعاقبته أنه سيطوق بما بخل به يوم القيامة [٣].

ومنه قوله تعالى: { هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ }[٤] فبيّن لهم سبحانه وتعالى أنّهم هم الذين بحاجة إلى فضله وجزائه على إنفاقهم،

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣٣٩/٥)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢١٩/٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

(٣) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٧٤/٢).الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٤٤٣/٩)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٩٠/٤)، البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **مرجع سابق**، (٥١/٢)، محمد رشيد رضا، تفسير المنار، **مرجع سابق**، (٢١٢/٤).

(٤) سورة محمد، الآية: ٣٦ – ٣٨.

فإنه سبحانه غني وهم فقراء إليه، فبخلهم بالنفقة بخل على أنفسهم في الحقيقة فصحح لهم فهمهم واعتقادهم[١].

رابعًا: تصحيح مفهوم الحياة والموت:

من المؤمنين من كانوا يتمنون أن يُفرض القتال ليقاتلوا، فلما فُرض جزعوا واستنكروا[٢] وكرهوا لقاء العدو ومشقة القتال، فقالوا ركونًا منهم إلى الدنيا، وإيثارا للدعة فيها والخفض: "لم كتبت علينا القتال"، فلولا أخرتنا إلى أن نموت على فرشنا وفي منازلنا[٣]، فبيّن سبحانه وتعالى حقيقة الموت فقال: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ }[٤] فصحّح لهم مفهومين، الأول أنّ متاع الدنيا الذين آثروه قليل ومنقطع ومكدّر، وأنّ الآخرة خير وكثير ومؤبد ولا كدر فيه[٥]، والثاني أن الموت سينالكم أينما كنتم ولو تحصنتم بالحصون المنيعة، وأنّ امتناعكم

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (١٩٢/٢٢)، البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٢١٩/٤)، وزاد المسير في علم التفسير (١٢٣/٤).

(٢) أصل القصة عند النسائي في سننه، ح٣٠٨٦، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، (٢/٦)، وقال الألباني: صحيح الاسناد. يُنظر: **صحيح وضعيف سنن النسائي**، (١٥٨/٧)

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٥٤٨/٨)، البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٦٦٤/١)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٧٩/٢ – ٨٠).

(٤) سورة النساء، الآية: ٧٧.

(٥) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (١٤٤/١٠)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢٠٤/٢)، السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ١٨٨).

وتهربكم من قتال الأعداء لن يُقدم أو يؤخر من أجلكم، فلا تضعفوا وتعجزوا عن لقاء العدو خوفًا على أنفسكم من القتل والموت[١].

قال الرازي[٢]: (بيّن تعالى أنه لا خلاص لهم من الموت، والجهاد موت مستعقب لسعادة الآخرة، فإذا كان لا بد من الموت، فبأن يقع على وجه يكون مستعقبا للسعادة الأبدية كان أولى من أن لا يكون كذلك)[٣].

خامسًا: تصحيح مفهوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيُخلد:

عندما أُشيع مقتل النبي صلى الله عليه وسلم في أحد، جَزِع بعض الصحابة رضي الله عنهم، وظنوا أنّ له الخلود، وأنّ عبادة الله متعلقة بحياته[٤] فقال تعالى: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٥٥١/٨)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٨٠/٢)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٣٦٠/٢)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢٠٤/٢).

(٢) أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن، فخر الدين الرازيّ: الإمام المفسر، أوحد زمانه في المعقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الريّ) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة سنة٦٠٦هـ. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. وكان يحسن الفارسية. من أشهر مصنفاته:(مفاتيح الغيب) ثمانية مجلدات في تفسير القرآن الكريم وغيرها. يُنظر: ابن قنفذ، أحمد بن حسن بن الخطيب، **الوفيات**، تحقيق: عادل نويهض، ط٤، بيروت: (دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣ هـ)، (٢٠٨/١).

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (١٤٤/١٠).

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٥١/٧)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٩٢/٢).

مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُــلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُــرَّ اللَّهَ شَـيْئًا وَسَـيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ }[١] فبيّن سبحانه وتعالى أنّه رسول كمن سبقه من الرسل الذين انقضت أعمارهم وآجالهم وماتوا، لأن الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة، لا وجودهم بين أظهر قومهم أبدا[٢]، والذي يلزم المؤمنون العمل بمضمون الرسالة وليست حياة الرسول وبقاؤه بين أظهركم شرطا في ذلك، لأن الرسول يموت كما مات كل الرسل من قبله[٣]، (وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم، فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه)[٤]، فصحّح لهم مفهوم خلود النبي صلى الله عليه وسلم، وبيّن بطلانه وفساده.

كما أنّ موته لا يوجب ضـــعفا في دينه بدليلين ذكرها الرازي فقال: (الأول: بالقياس على موت سـائر الأنبياء وقتلهم، والثاني: أن الحاجة إلى الرسـول لتبليغ الدين وبعد ذلك فلا حاجة إليه، فلم يلزم من قتله فساد الدين)[٥].

سادسًا: تصحيح مفهوم تشبيه الزوجة بالأم في الحرمة:

مما شـــاع في الجاهلية الظهار، وهو تشـــبيه الزوجة بالأم في تحريم وطئها، وبه يُحرّم الرجل زوجته على نفســـه، وقد وقع ذلك عندما ظاهر رجل من المؤمنين زوجته بأن قال لها أنت عليّ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع ســـابق**، (٢٥١/٧).الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٧٦/٩)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٢٢/٤)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٩٢/٢)، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (١٥٠).

(٣) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٥١٦/١).

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٧٦/٩)، ويُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٢٢/٤)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٩٢/٢)، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ١٥٠).

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٧٧/٩).

كظهر أمي، وجاءت تشتكيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[١]، فخاطب الله المؤمنين جميعًا بأن بيّن لهم خطأ مفاهيمهم، فقال تعالى: { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ }[٢] فبيّن أن الأمومة الحقيقية ليست كما تقولون بأفواهكم، وإنما هي للاتي ولدنكم على الحقيقة، وكما بيّن أنّ الزوجة لا يمكن أن تكون أمًّا لزوجها ولن تكون مُحرّمة كحرمة الأم أبدًا، وأنّ قولهم ذلك ما هو إلا كذب وزور وبهتان[٣].

قال ابن عطية[٤]: (رد الله بهذه الآية فعلهم، وأخبر بالحقيقة من أن الأم هي الوالدة، وأما الزوجة فلا يكون حكمها حكم الأم)[٥].

---

(١) أصل القصة عند أبو داود في سننه، ح٢٢١٤، كتاب الطلاق، باب الظهار، (٢٦٦/٢)، صححه أبو داود، وقال الألباني: صحيح. يُنظر: الألباني، محمد ناصر الدين، **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، تحقيق: زهير الشاويش، ط٢ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ)، (١٧٣/٧).

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١ – ٤.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٢٨/٢٣)، والبغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٣٩/٥)، و القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٧٩/١٧)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٣٩/٨)، و أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢١٦/٨)، والزحيلي، التفسير المنير، **مرجع سابق**، (١٣/٢٨).

(٤) هو أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المحاربي الغرناطي، أندلسي، مفسر فقيه، عارف بالأحكام والحديث. ولي قضاء المرية، من مصنفاته: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، والمجموع في ذكر مروياته وأسماء شيوخه، وغيرهما. توفي سنة: ٥٤١. يُنظر: إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، (بيروت: دار الكتب العلمية)، (١٧٤).

(٥) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٢٧٣/٥).

إن تصـــحيح المفاهيم مما يُعين المذنب على التوبة والإقلاع عن الذنب عن رغبة وقناعة، لأنه يجتث الجذور الفاســدة التي تدفع إلى مقارفة الذنب وهي المفاهيم، فإنّها إن أُزيلت وصُــحِّحت، انقطع الأثر الفاســد الناتج عنها، فليحرص المربون والموجهون والناصــحون على اســتخدامه كأسلوب في التعامل مع المذنبين.

المطلب الثاني: تقديم البديل:

ومن الأساليب التي تدفع المذنب إلى الاستجابة لترك الذنب والتوبة منه، الترغيب فيما هو خير وأفضل وتقديم البديل المشروع لما كان يفعله، فقد جرت العادة أن الله عز وجل في كتابه إذا

نهى عن شيء؛ بين وجهًا آخر غير منهي عنه؛ فينبغي للإنسان إذا كان موجهًا أو ناصحًا أن لا ينهى عن شيء، حتى يبين باب الحلال(١).

وفيما يلي ذكر بعض أساليب القرآن في تقديم البديل للمذنبين:

أولًا: تقديم البديل عن الرياء في الإنفاق باحتساب الأجر في الآخرة:

خاطب سبحانه وتعالى المُنْفقين والمتصدقين رياء وسمعة الراغبين في المدح والثناء العاجل، ببيان حالهم وتقديم البديل عنه فقال تعالى: { وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩) }(٢) فوصف حالهم بأنّهم لم يخلصوا التوحيد ولم يكن يقينهم بالبعث وبجزاء الله ومثوبته لهم حاضرا في قلوبهم، ملتمسين الذكر والفخر والمحمدة من الناس(٣)، ثمّ تساءل بأنّه ماذا يضرهم (لو سلكوا الطريق الحميدة، وعدلوا عن الرياء إلى الإخلاص والإيمان بالله، ورجاء موعوده في الدار الآخرة لمن أحسن عملا وأنفقوا مما رزقهم الله في الوجوه التي يحبها الله ويرضاها)(٤)، إرشادًا لهم إلى البديل مكان الرياء وعدم اليقين، وتوجيهًا إلى الإيمان بالله وبعلمه بثواب أعمالهم وأنه لن يظلمهم شيئا ولن يبخسهم أجورهم(٥).

---

(١) يُنظر: مركز تدبر، **ليدبروا آياته (حصاد ٧ سنوات من التدبر)**، ط٢ (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ) (٦٢).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٨ – ٣٩.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٥٩/٨).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٣٠٤/٢).

(٥) يُنظر: السمرقندي، نصر ابن محمد، **بحر العلوم**، تحقيق: محمود مطرجي، (بيروت: دار الفكر)، (٣٠٣/١).

ثانيًا: تقديم البديل عن رفع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر والانتظار:

كما أرشد الأعراب الذين جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقاموا ينادون عليه بصوت مرتفع(١)، إلى ما هو خير لهم وهو أن يصبروا(٢)، قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }(٣) فذمّهم بقلة عقلهم إذ أنّ أكثرهم جهال بدين الله، وجاهلين بحقه صلى الله عليه وسلم في التعظيم وبالأدب اللازم في التعامل معه(٤)، ثمّ أرشدهم إلى البديل الواجب وهو أن يُحسنوا الأدب خلافا لما أتوا به، فإنهم لو صبروا لوقت خروجك لما احتاجوا إلى النداء، فضلا عن كونهم أتوك في وقت اختلائك بنفسك أو بأهلك أو بربك(٥).

فالصبر والتأدب خَيْر لَهُمْ في الثواب عند الله وفي انبساط نفس النبي صلى الله عليه وسلم، وقضائه لحوائجهم ووده لهم، ولكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة، فإنّ بعض الخير قد حُرموه بسبب جفائهم(٦).

ثالثًا: تقديم البديل للذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا بأن يقولوا انظرنا:

---

(١) أصل القصة عند أحمد في مسنده، ح١٥٩٩١، (٣٦٩/٢٥)، قال المحققون: إسناده ضعيف لانقطاعه.

(٢) يُنظر: الطبري، جامع البيان، **مرجع سابق،** (٢٨٥/٢٢).

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٤ – ٥.

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان، **مرجع سابق،** (٢٨٥/٢٢)، البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق،** (٢٥٥/٤)، الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق،** (٩٦/٢٨)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق،** (١١٨/٨)، السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق،** (ص: ٧٩٩).

(٥) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق،** (٩٧/٢٨)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق،** (١١٨/٨).

(٦) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق،** (١٤٦/٥)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق،** (٣٦٩/٧).

أرشد الله المؤمنين إلى البديل عن قولهم (راعنا) للنبي صلى الله عليه وسلم، التي قلدوا فيها مقالة اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم، دون تمحيص لحقيقتها، فقال تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا }(١) وذلك أن اليهود عندما سمعوا ذلك اغتنموها وأصبحوا يعلنون الشتم بها –وهي في اليهودية شتيمة(٢)- مع خفاء قصدهم(٣)، فدلّ الله المؤمنين على بديل لها لا يحتمل إلا الحسن، وكافية يحصل بها المقصود من غير محذور أو شبهة(٤)،وهو قول (انظرنا) ومعناها انتظرنا وأمهل علينا، وذلك ليعقلوا عنه بتبجيل منهم له وتعظيم، وأن لا يسألوه ما سألوه من ذلك على وجه الجفاء والتجهم منهم له، ولا بالفظاظة والغلظة، تشبها منهم باليهود في خطابهم نبي الله صلى الله عليه وسلم(٥).

وهي (كلمة تساويها في الحقيقة والمجاز وعدد الحروف والمقصود من غير أن يتذرع بها الكفار لأذى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا من أبدع البلاغة)(٦).

إنّ تقديم البديل الشرعي للمذنب مما يُعينه على التوبة والإقلاع عن الذنب، مع مراعاة عدم استخدامه دائما والحكمة في انتقاء المقام المناسب له، فإنّه قد يكون الأنسب والأصلح في بعض الأحوال استخدام أسلوب آخر غيره من الزجر أو التأديب، وفي تقديم البديل إعانة المذنب على الطاعات والخيرات وإعانته على نفسه بما هو مشروع.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان، **مرجع سابق،** (٤٦٠/٢)، البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق،** (١٥٢/١).

(٣) يُنظر: الطبراني، **تفسير القرآن العظيم**، (١٠٠/١)، البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (١٥٢/١).

(٤) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق،** (ص: ٦١).

(٥) يُنظر: الطبري، جامع البيان، **مرجع سابق،** (٤٦٥/٢)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق،** (١٨٩/١).

(٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٦٥١/١).

المبحث الخامس:

أسلوب التوجيه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التوجيه بالأمر.

المطلب الثاني: التوجيه بالنهي.

المطلب الثالث: التوجيه بالتحكيم.

مدخل

جاءت آيات القرآن مشتملة على أوامر ونواهي مختلفة، منها ما كانت تشريعًا، ومنها ما جاء في توجيه المذنبين.

إذ إنّ الأمر الصريح بالفعل أو الترك لأمر ما، مما يُبصّر الإنسان بذنبه الواقع فيه، فيكون أدعى لتركه والتوبة منه.

المطلب الأول: أسلوب التوجيه بالأمر:

إنّ من أساليب التعامل مع المذنبين وتقويمهم، أسلوب الأمر، فإنّ أمرهم بما يجب عليهم فعله بصيغة مباشرة وصريحة، يُقرب ويُعينهم على التوبة والامتثال، وفيما يلي بيان لبعض مواضع القرآن التي جاءت في الأمر المباشر للمذنبين.

أولًا: أمر الذين انشغلوا بالتجارة عن الجمعة بإجابة النداء:

حينما ترك فريق من الصحابة رضي الله عنهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الجمعة[١]، إقبالا على قافلة تجارة[٢]، أمرهم سبحانه وتعالى بأن يقبلوا على الصلاة عند سماع النداء، وأمرهم بترك البيع[٣]، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ }[٤]، فأمر سبحانه وتعالى أن يُجيبوا النداء بعد سماعه مسرعين[٥]، وليس المقصود هنا المشي السريع، وإنّما الاهتمام في المسير[٦]، كما أمرهم أن يدعوا التجارة في ذلك الوقت[٧]، فحُرّم البيع وقت النداء، ويعود للإباحة إذا انتهت الصلاة[٨]، ويُقاس على البيع كل ما يشغل عن الصلاة والسعي إليها[٩].

ثانيًا: أمر الذين شهدوا ظلما بالقسط والعدل:

حينما سرق طعمة ابن أبيرق[١٠] واتهم يهوديًا بالسرقة وشهد على ذلك طائفة من المؤمنين بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد توبيخهم وتذكيرهم، أمرهم الله بالقيام بالقسط والعدل[١]،

---

(١) سبق تخريجه ص٦٩.

(٢) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٢٢٦/٢٨).

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٨٣/٢٣ – ٣٨٤).

(٤) سورة الجمعة، الآية: ٩.

(٥) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٨٣/٢٣).

(٦) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٢٠/٨).

(٧) يُنظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، **مرجع سابق**، (٢٨٣/٤).

(٨) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، ٣٨٣/٢٣)، ويُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٠٧/١٨).

(٩) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٢٢٦/٢٨).

(١٠) طعمة بن أبيرق بن عمرو بن حارثة بن ظفر بن الخزرج بن عمرو، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بدرا. ابن الأثير، أسد الغابة، **مرجع سابق**، (٣/ ٧٣).

والعدل[١]، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }[٢] فأمرهم بما يجب عليهم، من الشهادة بالحق والعدل، وإقامتها على الوجه الصحيح بلا ميل لطرف على آخر، لا لغني لغناه ولا لفقير لفقره، فإنّ ذلك جور وظلم[٣]، فيجب عليكم قول (الحق ولو على أنفسكم بالإقرار أو الوالدين والأقربين، فأقيموها عليهم لله)[٤]، ولا تأخذكم في الله لومة لائم، وليكن أداؤها خالصًا ابتغاء وجهه[٥].

قال الطبري: (أدوا الشهادة على ما أمركم الله بأدائها، بالعدل لمن شهدتم له وعليه)[٦].

ثالثًا: أمر من خرج للحج بغير زاد بالتزود:

كان قوم يحجون بغير زاد ويزعمون أنهم متوكلون، فأمرهم الله بالتزود للسفر[٧]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " كَانَ أَهْلُ اليَمَنِ يَحُجُّونَ وَلاَ يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٠١/٩).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٠٢/٩)، ويُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ٢٠٨)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، **مرجع سابق**، (٤٨٤/١)، ويُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٤١٣/٥)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٤٣٣/٢).

(٤) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٧١٢/١).

(٥) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٤٣٣/٢).

(٦) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٠١/٩).

(٧) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (١٥٦/٤).

المُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ"[١]، فأنزل الله تعالى: { وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ }[٢] فأمر الله جل ثناؤه بالتزود للسفر، وذلك ليكفوا به وجوههم ويتقوا بزادهم سؤال الناس والنهب والغصب[٣]، قال القرطبي: (قوله تعالى:{ وتزودوا} أمر باتخاذ الزاد)[٤] (فإن التزود فيه الاستغناء عن المخلوقين، والكف عن أموالهم، سؤالا واستشرافا، وفي الإكثار منه نفع وإعانة للمسافرين، وزيادة قربة لرب العالمين)[٥].

وكان ختام أمره لهم سبحانه وتعالى بأنّ خير ما يتزود به الإنسان، هو تقوى الله، وذلك باتباع أمره بالخروج بزاد من طعام وشراب أو حرفة[٦]، قال ابن كثير[٧]: (لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة، وهو استصحاب التقوى إليها)[٨].

رابعًا: أمر الذين تركوا الإنفاق في سبيل الله بالإنفاق:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ح١٥٢٣، كتاب الحج، باب قول الله تعالى: {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى}، (١٣٤/٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (١٥٦/٤)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٢٥٣/١).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٤١١/٢).

(٥) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ٩٢).

(٦) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٤١٢/٢).

(٧) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه، اشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله. تناقل الناس تصانيفه في حياته. من كتبه: البداية والنهاية، وطبقات الفقهاء الشافعيين، وتفسير القرآن العظيم، والباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث، توفي سنة: ٧٧٤هـ. يُنظر: ابن حجر، أحمد بن علي، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ط٢، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان (حيدر اباد الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م)، (٤٤٥/٧).

(٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٥٤٨/١).

كان قوم قد تركوا النفقة في سبيل الله وتركوا الجهاد فأنزل الله يأمرهم بالإنفاق في سبيله، فعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: " إنا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ قُلْنَا: هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا.(١)، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى: { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }(٢) فأمرهم سبحانه بالإنفاق في سبيله وفيما يُعَزُّ به الدّين، وأعظم الإنفاق ما كان جهاد الكفار والأعداء، ونهاهم عن أن يستسلموا للهلكة، فإنّ تارك النفقة عند وجوبها عليه وتارك الجهاد عند وجوبه، مُلْقٍ بيده إلى الهلكة والعذاب، لتركه فرائض الله(٣).

وبعد ما أمر بالجهاد بالنفس والمال أمرهم كذلك بالإحسان(٤)، فقال تعالى: {وأحسنوا}، قال القرطبي: (أي في الإنفاق في الطاعة، وأحسنوا الظن بالله في إخلافه عليكم)(٥).

فعلى الموجهين والمقومين أن يقوموا بتوجيه المذنبين بالأمر الصريح والمباشر بما يجب عليهم فعله أمرًا واضحًا، وما يجب الكف عن فعله على طريقة القرآن؛ فإنّ ذلك يُعينهم على الطاعة والامتثال والتوبة من الذنب والرجوع عنه، خاصة إذا استخدم الموجه النصوص الآمرة عند توجيه الأمر فذلك أدعى للقبول.

---

(١) أخرجه أبو داود في سـننه، ح ٢٥١٢، كتاب الجهاد، باب في قوله تعالى: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}، (١٢/٣) وصححه الألباني، يُنظر: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ٢، وأخرجه الترمذي في سننه، ح ٢٩٧٢، أبواب التفسير، باب ومن سورة البقرة، (٢١٢/٥) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٥٩٢/٣)، ويُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٥٢٩/١)، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ٩٠).

(٤) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢٠٥/١).

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣٦٥/٢).

المطلب الثاني: التوجيه بالنهي:

إنّ من أساليب التعامل مع المذنبين، نهيهم عن الذنب، وقد ورد ذلك في القرآن كثيرًا، وفيما يلي بيان لبعض المواطن.

أولًا: النهي عن خيانة الله والرسول صلى الله عليه وسلم:

رُوي أنّ أبا لُبابة الأنصاري[١] رضي الله عنه عندما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود قريظة وطلبوا الصلح على حكم أبي لُبابة، أشار إليهم بأنّه الذّبح فلا تفعلوا[٢]، فنزل قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }[٣] فنهى الله تعالى عن خيانة الله وخيانة الرسول صلى الله عليه وسلم بإظهار النصيحة للمؤمنين وغشهم في الباطن بدلالة المشركين على عورتهم وما خفي من خبرهم[٤].

وفي قوله {وأنتم تعلمون} تشديد للنهي، وتشنيع على المنهي عنه؛ لأن النهي عن القبيح في حال معرفة المنهي أنه قبيح، يكون أشد وأقطع[٥].

ثانيًا: النهي عن التقدم على النبي صلى الله عليه وسلم:

ذَبَح فِئام من المسلمين قبل أن يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر، فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يُعيدوا ذبحًا آخر[٦]، وأنزل الله تعالى قوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا

---

(١) أبو لبابة رفاعة بن عبد المنذر، كان نقيبا، شهد العقبة، وسار مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر، فرده إلى المدينة، فاستخلفه عليها، وضرب له بسهمه وأجره، كما استخلفه صلى الله عليه وسلم أيضا على المدينة حين خرج إلى غزوة السويق، شهد أُحدًا وما بعدها من المشاهد، وكانت معه راية بني عمرو بن عوف في غزوة الفتح. توفي في خلافة علي. يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، **مرجع سابق**، (٦/ ٢٦٠).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور، **التفسير من سنن سعيد ابن منصور**، تحقيق: سعد آل حميد، (دار الصميعي، ١٤١٧هـ)، ح ٩٨٨، (٢٠٦/٥) وقال تحقيق: سند رجاله ثقات، لكنه ضعيف لإرساله، فعبد الله بن أبي قتادة تابعي، وقول سفيان معضل.

(٣) سورة الأنفال: الآية: ٢٧.

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٤٨٠/١٣)، ويُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٣٢١/٩).

(٥) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٣٢٤/٩).

(٦) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٧٦/٢٢)، وقد أخرج البخاري ومسلم عن البراء قال: خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر، قال: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي،

بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[١] فنهى الله المؤمنين عن أن يقدموا قولًا أو فعلًا بين يدي الله ورسوله وأن لا يعجلوا بالأمر والنهي دونه[٢]، فإنّ (من قدم قوله أو فعله على الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قدمه على الله تعالى، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يأمر عن أمر الله عز وجل)[٣].

ثالثًا: النهي عن رفع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم:

اختلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما حتى ارتفعت أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم[٤]، كما قد كان بعض الناس يجهرون للنبي صلى الله عليه وسلم بالكلام ويرفعون أصواتهم، فنهاهم الله عن ذلك[٥]، ونزل قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ }[٦] فجاء النهي عن أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل أن نصلي فإنما هو لحم عجله لأهله ليس من النسك في شيء». أخرجه البخاري ٩٥١ و٩٦٥ و٥٥٤٥ ومسلم ١٩٦١ ح ٧.

(١) سورة الحجرات، الآية: ١.

(٢) يُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٢٥١/٤)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٣٦٤/٧).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣٠٠/١٦).

(٤) أصل القصة عند البخاري في صحيحه، ح ٤١٠٩، كتاب المغازي، باب وفد بني تميم، ١٥٨٧/٤.

(٥) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٧٨/٢٢).

(٦) سورة الحجرات، الآية: ٢.

ويتجهموه بالكلام، وأن لا يغلظوا له الخطاب ولا ينادوه كما ينادون بعضهم بـ (يا محمد يا محمد)[١]، بل عليهم توقيره وأن يدعوه بالرسالة والنبوة والكلام اللين[٢].

ولم يكن النهي عن مطلق الجهر حتى لا يكلموه إلا همسًا ومخافتة، إنما كان النهي عن الجهر المعتاد فيما بينهم الخالي من جلالة النبوة وانحطاط سائر الرتب عنها[٣].

إنّ نهي المذنب عن الذنب بصيغة مباشرة ونهي قاطع صريح، يُنبه الغافل على حُرمة الذنب، ويلفت نظره إلى أنّه وقع في الممنوع والمحظور، فيرجع ويتوب عمّا هو فيه، ويُحذره من عدم معاودته مرة أخرى.

المطلب الثالث: التوجيه بالتحكيم:

عندما يقف الحوار بين متخاصمين على المُشاحّة والشقاق، فإنّه يلزم تدخل أطراف أخرى تقوم بتوجيه المذنبين وتكون حكمًا وفيصلًا بينهما، إذ أنّ العناد والإصرار وعدم التنازل والتمسك بالرأي تُعمي بصيرة الإنسان وتجعله لا يرى إلا نفسه وما يُريد، بل تجعله لا يسمع

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٧٧/٢٢)، ويُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٢٥٣/٤).

(٢) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٤٥/٥)، ويُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ٧٩٩).

(٣) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣٠٦/١٦).

حجة خصـمه ولو كانت حقًا، فيزداد ذنبًا وعصـيانًا وشـقاقًا؛ لذلك كان لابد من أطراف خارجة عنهما تحكم بينهما بالعدل والحق كما جاء بذلك الشرع، وفيما يلي جاء التحكيم والأمر بالإصلاح في القرآن كطريقة للتعامل مع المذنبين المتخاصمين:

أولًا: التحكيم بين الزوجين:

فقد أمر سـبحانه وتعالى عند الشـقاق بين الزوجين والمباعدة والمجانبة حتى يكون كل منهما في شـق أن يُحكما بينهما رجلين مكلفين مسـلمين عدلين عاقلين يعرفان ما بين الزوجين، ويعرفان الجمع والتفريق، لينظرا لحال الزوجين وما ينقم كل منهما على صـاحبه، ثم يوجهانهما ويلزمان كلا منهما بما يجب عليه، فإن لم يستطع أحدهما ذلك، أقنعا الزوج الآخر بالرضـا بما تيسر من الرزق والخلق، ومهما أمكنهما الجمع والإصـلاح فلا يعدلا عنه، فهذا ما تميل وترغب به الشريعة دائمًا(١).

قال تعالى: { وَإِنْ خِفْتُمْ شِـقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْـلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا }(٢) قال ابن عاشور(٣) رحمه الله: (وهذه الآية أصل في جواز التحكيم في سائر الحقوق)(٤).

---

(١) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق،** (ص: ١٧٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(٣) محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن عاشور، من أشراف تونس وكبار علمائها، ولي قضاءها ثم الفتيا، فنقابة الأشـراف. وتوفي بتونس سـنة ١٢٨٤هـ، له كتب كثيرة من أشـهرها كتاب التفسـير التحرير والتنوير. يُنظر: الزركلي، الأعلام، **مرجع سابق،** (٦/ ١٧٣).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق،** (٤٧/٥).

ويُفضـــل أن يكون الحكمان أحدهما من أهل الرجل والآخر من أهل المرأة، وذلك ليكونا أعلم بشأنهما وأخبر بما يُرجى من حالهما، ومعلوم أنه يشترط فيهما الصفات التي تخولهما الحكم في الخلاف بين الزوجين كما سبق بيانه في بداية المطلب(١).

فإن عرفا الظالم فعليهما أن يأخذا منه الحق لصاحبه ويُجبر على إزالة الضرر والظلم، وبذلك يظهر لهما من هو الذي نشـــز على الآخر، فيقبلان عليه بالعظة والزجر والنهي ومحاورته بالحسنى وأمره بأداء الحقوق والواجبات(٢).

(فإن وصـــلت الحال إلى أنه لا يمكن اجتماعهما وإصـــلاحهما إلا على وجه المعاداة والمقاطعة ومعصية الله، ورأيا أن التفريق بينهما أصلح، فرقا بينهما)(٣).

فعلى الحكمين أن يكون تحكيمهما منبعه إصـــلاح ذات البين وتقريب قلوب الزوجين واســتقرار الأسرة بما يُصلحها، ولا يتحيز أحدهما إلى قريبه بغير وجه حق، بل يكون منصفًا متجردًا للحق والمصلحة، فإن تيسر الإصلاح فبها ونعمت، وقد وعدهما الله بأن يرشدهما إلى مصادفة الحق والصواب إن ابتغوا الإصلاح(٤)، فتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما فتقع الموافقة والألفة بين الزوجين فإنّ من أصـــلح نيته فيما يتوخاه وفقه الله لمبتغاه، فالله عليم وخبير بالظواهر والبواطن(٥)، وفيها تحذير للحكمين والزوجين من سلوك ما يخالف طريق الحق(٦).

ثانيًا: التحكيم بين المتخاصمين على السقاية:

---

(١) يُنظر: **المرجع السابق،** (٤٦/٥).
(٢) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق،** (١٧٦/٥).
(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق،** (ص: ١٧٧).
(٤) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق،** (٤٧/٥).
(٥) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق،** (١٧٥/٢).
(٦) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق،** (٧٥/١٠).

وقد وقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أن اختصم رجل مع الزبير رضي الله عنه في السقاية، وذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليكون حكمًا بينهم، فسلك صلى الله عليه وسلم معهما مسلك الصلح والمسامحة فقال: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»، وذلك لكونه في الأعلى ولقربه من الماء، أي يتساهل في حقه ولا يستوفه ويعجل في إرسال الماء إلى جاره، فحضه على المسامحة والتيسير، فلما سمع الأنصاري هذا لم يرض بذلك وغضب، لأنه كان يريد ألا يمسك الماء أصلا، فأنكر واعترض على حكم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ نَبِيِّ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وحَكَم للزبير باستيفاء حقه من غير مسامحة له(١)، فأنزل الله قوله تعالى: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }(٢).

فأقسم سبحانه بنفسه الكريمة على أنهم لا يؤمنون حتى يُحكموا رسوله: في كل شيء يختلفون، ولا يكفي هذا التحكيم بل لابد أن ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض، ثم لا يكفي ذلك حتى يُسلموا تسليما تامًّا لحكمه بانشراح صدر، وطمأنينة نفس، وانقياد بالظاهر والباطن(٣) انقيادا لا يخالفونه في شيء ولا يدخلون على أنفسهم شكا ولا شبهة فيه(٤).

---

(١) أصل القصة عند مسلم في صحيحه، ح ٢٣٥٧، كتاب الفضائل، باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم، ١٨٢٩/٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٣) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق،** (ص: ١٨٥).

(٤) يُنظر: الشوكاني، فتح القدير، **مرجع سابق،** (٥٥٨/١).

والظاهر: أن هذا شـامل لكل فرد أمام كل حكم حتى بعد موته صـلى الله عليه وسـلم، ويكون بتحكيم الكتاب والسنة، وتحكيم الحاكم بما فيهما من الأئمة والقضاة(١).

(فالتحكيم في مقام الإسـلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسـليم في مقام الإحسـان. فمن استكمل هذه المراتب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها)(٢).

ثالثًا: التحكيم عند اقتتال فريقين من المؤمنين:

عن أنس رضي الله عنه قال: قلت يا نبي الله، لو أتيت عبد الله بن أبي. فانطلق إليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون، وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسـلم قال: إليك عني، فو الله لقد آذاني نتن حمارك! فقال رجل من الأنصـار: [والله] لحمار رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، أطيب ريحا منك. فغضـب لعبد الله رجل من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنه أنزلت فيهم(٣)، قال تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْـلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِـطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }(٤) فإذا اقتتلت طائفتان من أهل الإيمان، فعلى المؤمنين الإصـلاح بينهما وذلك بالدعاء إلى

---

(١) يُنظر: **المرجع السابق**.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ١٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ح٢٦٩١، كتاب الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، (١٨٣/٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، ح١٧٩٩، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وصبره على أذى المنافقين، (١٤٢٤/٣).

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩ – ١٠.

حكم كتاب الله، والرضـا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصـلاح بينهما بالعدل، ومن أبى من الفريقين وبغى واعتدى فإنه يُقاتل حتى يرجع لحكم الله(١).

فعلى كل من كان حكمًا بين متنازعين أو متخاصمين أن يحكم بكتاب الله وسنة رسوله الله عليه وســلم، وأن يكون على بينة من أمر من احتكم إليه حتى يحكم بالحق، ولا تأخذه المحاباة فيميل لطرف دون آخر بغير حق، وليحذر من كل ما يؤثر على حكمه بالجور والظلم فلا يحكم وهو غضبان أو جائع أو غير ذلك مما يجعله يحيف في حكمه.

كما عليه أن يكون مُرغبًا في الصلح والمسامحة والعفو، فإن اصطلحوا وإلا استوفى لذي الحق حقه وثبت الحكم(٢).

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق،** (٢٩٢/٢٢)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق،** (٣١٦/١٦).

(٢) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق،** (٢٦٨/٥).

المبحث السادس:

أسلوب الزجر، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الزجر بالتهديد.

المطلب الثاني: الزجر بالإعراض.

المطلب الثالث: الزجر بالهجر.

مدخل

إنّ من أهم أساليب التعامل مع المذنبين أسلوب الزجر، إذ إنّ بعض المذنبين لا يمتثل ولا يرجع عن ذنبه إلا إذا أُغلظ عليه وزُجِر.

وقد يكون الزجر بالخطاب الشديد، أو يكون بترك مكالمته والإعراض عنه مدة لينزجر.

المطلب الأول: الزجر بالتهديد:

جاء في القرآن في مواطن كثيرة زجر المذنبين بتهديدهم والتوعد لهم بالعقاب، فإنّ التهديد ممن بيده القدرة على كل شيء يكون أشد على النفس وأكثر تخويفًا وزجرًا وردعًا عن الذنب.

وفيما يلي بيان لبعض مواطن القرآن التي جاء الزجر بالتهديد فيها:

أولًا: تهديد الذين آذوا الرسول صلى الله عليه وسلم:

كان (جماعة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه {ويقولون هو أذن}، سامعة، يسمع من كل أحد ما يقول فيقبله ويصدقه)(١)، فأنزل الله قوله تعالى: {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(٢) وفي قوله {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} بصيغة الاستقبال تدل على الوعيد إن استمروا على ما هم عليه، من اجترائهم على أذية النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ وفي إيراده صلى الله عليه وسلم مضافًا إلى لفظ الجلالة بوصف الرسالة غاية التعظيم والتهديد والتحذير(٣)، (وهو إنذار بعذاب الآخرة وعذاب الدنيا)(٤).

---

(١) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٢٤/١٤)، وابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٨٢٧/٦)، والواحدي، أسباب النزول، **مرجع سابق**، (٢٤٩)، السيوطي، الدر المنثور، **مرجع سابق**، (٢٢٧/٤).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦١.

(٣) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٧٧/٤).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٢٤٤/١٠).

ثانيًا: تهديد من سرق واتهم بريئًا:

وفي قصة طعمة ابن أبيرق السابقة الذكر وسرقته واتهامه يهوديًا بريئا بذلك، وشهادة بعض من المؤمنين على ذلك زورا، وأنزل الله أمرهم بالقيام بالقسط(١)، جاء في نفس الآية وعيد وتهديد لهم إن أعرضوا عن حكم الله(٢)، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}(٣) فجاء الوعيد(٤) والتهديد للذين شهدوا كذبًا وبهتانًا بأنّكم إن (تحرفوا الشهادة لتبطلوا الحق أو تعرضوا عنها فتكتموها ولا تقيموها)(٥)، فإنّ الله بما قمتم به من تحريف الشهادة ذا خبرة وعلم به، يحفظه عليكم ويجازيكم عليه(٦).

قال السعدي(٧): (وفي هذا تهديد شديد للذي يلوي أو يعرض. ومن باب أولى وأحرى الذي يحكم بالباطل أو يشهد بالزور، لأنه أعظم جرما، لأن الأولين تركا الحق، وهذا ترك الحق وقام

---

(١) سبق تخريجه ص١٠٧.

(٢) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٢٤/٢)، ويُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٢٢٨/٥).

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

(٤) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٤٣٣/٢)، ويُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢٤٢/٢).

(٥) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٧١٢/١)، ويُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢٤٢/٢).

(٦) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣١١/٩)، ويُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٤٣٣/٢).

(٧) هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدي: مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة بالقصيم، سنة ١٣٧٦هـ، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها (سنة ١٣٥٨هـ) له كتب كثيرة، منها: (تيسير الكريم

بالباطل)[١]، وقال ابن عاشور: (وقوله: فإن الله كان بما تعملون خبيرا كناية عن وعيد، لأن الخبير بفاعل السوء، وهو قدير، لا يعوزه أن يعذبه على ذلك)[٢].

ثالثًا: تهديد الذين تسللوا من خطبة النبي صلى الله عليه وسلم:

وعندما تسلل بعض الرجال الذين ثقلت عليهم خطبة النبي صلى الله عليه وسلم، واستتروا ببعض الصحابة الذين استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم للخروج وأذن لهم[٣]، فيخرج الذين لم يستأذنوا خلف الذين استأذنوا يلوذون بهم[٤]، هدّدهم الله تعالى بقوله: { قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[٥]، فهددهم تهديد مجازاة على فعلهم أن تصيبهم عقوبة في الدنيا عاجلة أو عذاب أليم في الآخرة[٦]، لأنه قد يموت بلا عقاب في الدنيا[٧].

إنّ من المذنبين من لا يمتثل ويقلع عن الذنب بالتذكير والمواعظ والمحاورة، فيلزم حينها تغيير أسلوب وطريقة الخطاب، فيأتي الزجر والتهديد والوعيد علّه يكون رادعًا وموقظًا للمذنبين.

المنان في تفسير القرآن) و (تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن) وغيرها. يُنظر: الزركلي، الأعلام، **مرجع سابق**، (٣/ ٣٤٠).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ٢٠٩).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٢٢٨/٥).

(٣) يُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٦٨/٦).

(٤) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٤٢٥/٢٤).

(٥) سورة النور، الآية: ٦٢ – ٦٤.

(٦) يُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٦٨/٦).

(٧) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٤٢٧/٢٤).

المطلب الثاني: الزجر بالإعراض:

في بعض الأحيان ومع بعض المذنبين قد يصل الحال إلى الحاجة إلى البراءة من الذنب الذي هم عليه، والإعراض عنهم حتى يعودوا ويتوبوا.

فقد أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنه بريء من كل من فارق دينه من مشرك أو وثني أو يهودي أو نصراني أو مبتدع ضل عن الصراط المستقيم، فهو بريء من محمد صلى الله عليه وسلم، ومحمد منه بريء[١]، قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ }[٢] قال ابن عطية رحمه الله: (وهذا على الإطلاق في الكفار وعلى جهة المبالغة في العصاة والمتنطعين في الشرع، ولأنهم لهم حظ من تفريق الدين)[٣].

وفيما يلي ذكر الإعراض عن المذنب كأسلوب أمر الله بها في التعامل مع المذنبين:

أولًا: الإعراض عن الخائضين في الدين:

أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن الخائضين في آيات الله والمستهزئين بها ومفارقتهم حتى ينتهوا عن ذلك[٤]، قال تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان، **مرجع سابق،** (٢٧١/١٢).
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.
(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق،** (٣٦٧/٢).
(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان، **مرجع سابق،** (٤٣٦/١١).

الظَّالِمِينَ (٦٨)}[١] (فأمره الله أن يعرض عنهم إعراض منكر. ودل بهذا على أن الرجل إذا علم من الآخر منكرا وعلم أنه لا يقبل منه فعليه أن يعرض عنه إعراض المنكر ولا يقبل عليه)[٢].

(وحتى، هي غاية الإعراض، لأنه إعراض فيه توقيف دعوتهم زمانا، أوجبه رعي مصلحة أخرى هي من قبيل الدعوة، فلا يضر توقيف الدعوة زمانا، فإذا زال موجب ذلك عادت محاولة هديهم إلى أصلها لأنها تمحضت للمصلحة)[٣].

(وهذا يشمل الخائضين بالباطل، وكل متكلم بمحرم، أو فاعل لمحرم، فإنه يحرم الجلوس والحضور عند حضور المنكر، الذي لا يقدر على إزالته.

وهذا النهي والتحريم، لمن جلس معهم، ولم يستعمل تقوى الله، بأن كان يشاركهم في القول والعمل المحرم، أو يسكت عنهم، وعن الإنكار، فإن استعمل تقوى الله تعالى، بأن كان يأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر والكلام الذي يصدر منهم، فيترتب على ذلك زوال الشر أو تخفيفه، فهذا ليس عليه حرج ولا إثم)[٤].

ثانيًا: أمر حاطب ابن أبي بلتعة رضي الله عنه بالإعراض عن الكفار:

عن علي رضي الله عنه قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ: «ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا» فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا، فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق** (١٢/٧).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق،** (٢٨٩/٧).

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق،** (ص: ٢٦٠).

وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟» قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ - قَالَ سُفْيَانُ: كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا - وَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ» فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ " فَأَنْزَلَ اللهُ(١) عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ} (٢).

وفيها الحث على الاقتداء بأبينا إبراهيم عليه السلام في براءته وإعراضه قال تعالى: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ }(٣)، فأخبرنا الله تعالى بما فعله إبراهيم عليه السلام مع قومه، وأنّ لنا فيه قدوة وأسوة، وذلك حينما أعلن البراءة والإعراض عنهم، وأظهر العداوة والبغضاء لهم على كفرهم وشركهم، وأنه لا صلح بيننا حتى تؤمنوا(٤)، والتبري من الإشراك مطرد في كل ملة(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٣٠٦٤، كتاب الجهاد والسير، باب العون بالمدد، (٧٣/٤).

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان، **مرجع سابق**، (٣١٧/٢٣).

(٥) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٢٩٥/٥).

قال القرطبي: (السورة أصل في النهي عن موالاة الكفار)[١]، فعاداهم إبراهيم عليه السلام وهجرهم في كل شيء، فأعرض عنهم بأفعاله وفي قلبه، عداوة لا تنقطع حتى يؤمنوا بالله، وهذه هي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئا من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان، وفي هذا فصل الخطاب[٢].

وفي الآية (يأمر حاطبا والمؤمنين بالاقتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، والذين معه من المؤمنين في التبرؤ من المشركين)[٣].

وينبغي موازنة المصالح والمفاسد المترتبة على الإعراض ومراعاتها، فقد يُسبب ذلك _ إن لم تُراعى المصلحة_ عناد المذنب وإصراره بل ومجاهرته في بعض الأحيان ودعوته لذنبه، فإنّه إذا غلبت المفسدة فلا يُستخدم هذا الأسلوب، ويبقى الإعراض القلبي أدنى مراحل الإيمان والإنكار.

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (٥٢/١٨).

(٢) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٥١٨/٢٩)، النسفي، عبد الله ابن أحمد، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ)، (٤٦٨/٣)، سيد قطب، في ظلال القرآن، **مرجع سابق**، (٣٥٤٢/٦).

(٣) البغوي، معالم التنزيل، **مرجع سابق**، (٧٠/٥).

المطلب الثالث: الزجر بالهجر:

إنّ من الأساليب الشرعية التي جاءت في القرآن في التعامل مع المذنبين، أسلوب الزجر بالهجر، وهو من أقوى الزواجر التي تردع المذنبين من المؤمنين، وفيما يلي بيان ما جاء في كلام الله من طريقة هجر المذنبين.

أولًا: هجر من تخلف عن القتال بلا عذر:

عندما تخلف عدد من الرجال في غزوة العسرة عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم بلا عذر مقبول، أمره الله بأن يبعدهم عن صحبته وأن يخرجهم من ديوان الغزاة أبدا(١)، قال تعالى: { فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِينَ }(٢)، ولا أعظم من أن يكون إنسان قد أبعده الشرع ورده كالجمل الأجرب(٣)، وهذا يجري مجرى الذم والإبعاد لهم وإظهار ذنبهم، فلا نقبلهم، ولا نلتفت إليهم(٤)، (وفيه أيضا تعزير لهم، فإنه إذا تقرر عند المسلمين أن هؤلاء من الممنوعين من الخروج إلى الجهاد لمعصيتهم، كان ذلك توبيخا لهم، وعارا عليهم ونكالا أن يفعل أحد كفعلهم)(٥).

ومنه كذلك ما خصّ النبي صلى الله عليه وسلم به الثلاثة نفر من بين كل المتخلفين عن الغزو – كعب ابن مالك، هلال ابن أمية، مرارة ابن الربيع- بالهجر والإعراض الكلي عنهم، واستمر

---

(١) يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٨٩/٤).
(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٣.
(٣) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٦٦/٣).
(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (١١٤/١٦).
(٥) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (ص: ٣٤٦ – ٣٤٧).

ذلك خمسين يوما حتى نزلت توبتهم من عند الله، وقد وصف الله حالهم أثناء الهجر فقال تعالى: { وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }(١) فضاقت عليهم الأرض مع سعتها، وضاقت أنفسهم بالهم والغم؛ وذلك لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم هجرهم، ومنع المسلمين من معاملتهم وكلامهم، وأمرهم صلى الله عليه وسلم باعتزال أزواجهم(٢).

ثانيًا: هجر الزوجة الناشز:

جاء تأديب الزوجة الناشز على ثلاثة مراحل، أولها الوعظ وقد سبق بيانه، وثانيها الهجر، وثالثها الضرب وسيأتي بيانه، لقوله تعالى: { وَاللَّاتِي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضاجِعِ }(٣)، واختلف العلماء في ماهية الهجر، فمن قال بهجر وطئها، ومن قال بأن يوليها ظهره في نفس الفراش، ومنهم من قال بترك المضجع بالكلية، ومنهم من قال بهجر الكلام والإعراض عنها(٤)، وأيًا كان الهجر فضابطه ما قاله صلى الله عليه وسلم: " لا تهجر إلا في البيت"(٥)؛ وذلك حفظًا لبيت الزوجية وحفظًا لكرامة المرأة؛ فشرع العلاج في البيوت، حتى لا

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

(٢) يُنظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، **مرجع سابق**، (٣٣٤/١).

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٤) يُنظر: ابن عطية، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٤٨/٢)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٧١/٥).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، ح٢١٤٤، كتاب النكاح، باب في حق المرأة على زوجها، (٢١٠/٢)، وقال الألباني: حسن صحيح، وأحمد في مسنده، ح٢٠٠١١، (٢١٣/٣٣)، والنسائي في سننه، ح ٩١٢٦، كتاب عشرة النساء، باب تحريم ضرب الوجه في الأدب، (٣٦٦/٨).

يخرج للناس؛ فإنه صيانة لحق البيت وحرمته من ذيوع ما فيه من أسرار، فتحفظ هيبته وكرامته؛ حتى لا يقع في أفواه من يفسد على أهل البيت أمرهم بالمقالات والنميمة والغيبة(١).

وماعدا هجر الزوجة الناشز، فإن الأصل أنه ممنوع إلا أن يكون دون ثلاث ليالي، كما قال صلى الله عليه وسلم: " لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام"(٢)، ويستثنى منه ما كان عائدا على المهجور بالإصلاح والتوبة فيجوز، أمّا هجر أهل البدع والأهواء فإنّه مطلوب على مرّ الأوقات ما لم تظهر منهم التّوبة والرّجوع إلى الحقّ(٣).

كما ينبغي الاكتفاء بقدر الحاجة وعدم التجاوز، فإن كان هجره يوما يفي بالغرض ويزجره، فيُكتفى بذلك، ولا يُتجاوز إلى أكثر منه ما لم يكن نافعا وزاجرًا ومؤثرا في صلاحه وتوبته وإقلاعه عن ذنبه ورجوعه عنه.

إنّ هجر المذنبين نابعٌ من تعظيم الله تعالى، وتعظيم الذنب في حقه، فينفر المؤمن من كل مذنب ومجلس يُعصى فيه الله ويهجره، فإنّ الجوارح تبع للقلب فلو كره القلب لكرهته الجوارح، ولا يبقى الإنسان ويقول أنا منكر بقلبي! إذ لو صدق لقام، حيث إنّ مجالسة المذنبين حين معصيتهم، تُهوّن في النفس الذنب ويسقط وقعه واستعظامه(٤).

---

(١) يُنظر: الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٨٢٨/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٦٠٦٥، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، (١٩/٨).

(٣) يُنظر: مجموعة بإشراف صالح ابن حميد، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، ط٤، (جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع)، (٥٦٨٢/١١ – ٥٦٨٣).

(٤) يُنظر: مركز تدبر، ليدبروا آياته (حصاد ٧ سنوات من التدبر)، **مرجع سابق**، (١٧٤).

المبحث السابع:

أسلوب التأديب، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التأديب بالكفارات.

المطلب الثاني: التأديب بالضرب.

المطلب الثالث: التأديب بالحدود.

مدخل

شرع الشارع الحكيم أحكامًا لتأديب المذنبين، لردعهم عن معاودة الذنب، وردعًا لغيرهم من أن يقعوا فيما وقعوا فيه، وكل ذلك صيانة وحماية للمجتمع وأفراده من وحل الذنوب وعواقبها الوخيمة.

المطلب الأول: التأديب بالكفارات:

إنّ من الذنوب ما ينبغي أن يُشدّد على مقترفها، وقد جاء الشارع بالكفارات تأديبًا وزجرًا لمن قارف هذه الذنوب، حتى لا يعود إليها ولا يجترئ غيره عليها، وفيما يلي بيان لكفارات الذنوب التي جاءت في القرآن.

أولًا: كفارة الظهار:

نزل القرآن مؤدبًا للذي ظاهر من امرأته ثم أراد أن يعود لوطئها - وقد حرّم زوجته على نفسه وهي حلال له، ثمّ أراد أن يعود لتحليل ما حرّم على نفسه مما أحلّ الله له[1]-، فقال تعالى: { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[2] فأوجب على المُظاهر الكفارة تأديبا له، وهي عتق رقبة فإن لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين لا فصل بينهما بفطر في النهار، فإن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكينًا، وشرط الكفارة أن تكون قبل أن يمس الرجل المظاهر

---

(١) سبق تخريجه ص١١٧.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١ – ٤.

امرأته[١]، وقوله تعالى {ذلكم توعظون به} (أي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فإن الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات، والمراد بذكره بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعويضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة، الذي هو عَلَمٌ في استتباع الثواب العظيم، بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه) [٢] لكي (تتركوا الظهار ولا تعاودوه) [٣].

قال ابن عاشور: (وتحصل من هذا أن كفارة الظهار شرعت إذا قصد المظاهر الاستمرار على معاشرة زوجه، تحلة لما قصده من التحريم، وتأديبا له على هذا القصد الفاسد والقول الشنيع)[٤].

ثانيًا: كفارة اليمين:

كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرموا على أنفسهم الطيبات، بأيمان حلفوها، فنهاهم الله عن ذلك، بردهم عن مزاولة التحريم بأنفسهم، فإنّه لله وحده، ونزل[٥] قوله تعالى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ

---

(١) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٣٠/٢٣، ٢٣٢)، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٤٠/٥)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٨٠/١٧، ٢٨٢).

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٢١٧/٨).

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٤٨٧/٢٩)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٤١/٨).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (١٨/٢٨).

(٥) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٥٢٣/١٠)، سيد قطب، في ظلال القرآن، **مرجع سابق** (٩٧١/٢).

فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[١] فجاءت الآية بمواجهة من حلف على الامتناع عن المباح، وجاء التأديب من الله لهم بإلزامهم بكفارة اليمين إذا أرادوا حنثه[٢]، وهي إطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم أهله، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، وهي على التخيير بينهم، فمن لم يجد من هذه الثلاثة شيء فعليه صيام ثلاثة أيام[٣].

فإنّ كل من حلف على الامتناع عن خير أو الإقدام على شر، فرأى صاحبها أن هناك ما هو أبّر، فعليه أن يفعل ما هو أبّر، ويكفر عن يمينه، تأديبًا له[٤]، قال صلى الله عليه وسلم:" من حلفَ على يمينٍ فرأى غيرَها خيراً منها، فَلْيَدَعْها فليأتها وليكفر عن يمينه"[٥].

ثالثًا: كفارة صيد المُحرِم:

كما جاءت الكفارة لمن صاد شيئا وهو مُحْرِم[٦]، وذلك تأديبًا له، قال تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٩.

(٢) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٥٢٦/١٠)، والرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٤١٩/١٢).

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٥٥٥/١٠، ٥٥٧)، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٧٩/٢)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٢٣٢/٢)، والرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٤١٩/١٢)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٧٥/٦)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٧٦/٣).

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، **مرجع سابق** (٩٧١/٢).

(٥) أخرجه مسلم، ح ١٦٥٠، كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه، (١٢٧١/٣).

(٦) إذ إنّ الصيد يُعدُّ من محظورات الإحرام، وفعله يُوجب الفدية.

عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ }[1] فأدّبه الله بأن ألزمه أن يذبح من الأنعام ما يُماثل ما قتله ويشبهه من حيث الخلقة لا القيمة، ويفرقها على فقراء الحَرَم، أو إطعام مساكين، أو الصيام بدلًا عن ذلك، وهي على التخيير بين هذه الثلاث كفارات، وهي عقوبة وتأديبًا له وتكفيرًا لذنبه[2].

إنّ التأديب بالكفارات من الأساليب التي جاء القرآن بها في التعامل مع المذنب، وإنّها من أكثر ما يكون رادعًا للمذنب، إذ الكفارات الواردة مما تتعلق النفس به فعتق الرقبة وإنفاق المال وترك الطعام، فيه مغالبة النفس وإخراج محابّها وتركها لله رب العالمين، وهذا له أعظم الأثر في التوبة والأوبة والإقلاع عن الذنب.

---

(1) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

(2) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣٧/١٠)، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٨٤/٢)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٢٣٧/٢)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣١٠/٦)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٩٢/٣)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (٧٩/٣)، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، **مرجع سابق**، (٢٤٤).

المطلب الثاني: التأديب بالضرب:

جعل الله الرجال قوّامين على النساء، وذلك في تأديبهن والأخذ على أيديهن فيما يجب عليهن لله وما يجب عليهن لأنفسهم[١]، وشرع لهم طرقًا في تأديب الناشز منهن، فقال تعالى: { وَاللَّاتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا }[٢] وقد سبق بيان أسلوب الوعظ والهجر.

وقد لا تستجيب الزوجة الناشز للوعظ ولا الهجر، لذلك أذِنَ الله في تأديبها بالضرب فقال: (واضربوهنّ)، والضرب المقصود هنا هو الضرب للتأديب غير المبرح، وهو الذي لا يكسر عظما ولا يشين جارحة، فإن المقصود منه الإصلاح لا الانتقام والتشفي[٣]، فقد قال صلى الله عليه وسلم في خطبة يوم عرفة بعد ما أوصى بالنساء خيرا: ".. ولكم عليهن أن لا يُوطِئنَ فُرُشَكُم أحداً تكرهونَه، فإن فَعَلْنَ فاضربُوهُن ضرباً غيرَ مُبرّح .."[٤].

سُئل ابن عباس: ما الضرب غير المبرح؟ قال: السواك وشبهه، يضربها به[٥].

---

(١) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٩٠/٨)

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣١٣/٨)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٤٨/٢)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٧٢/٥)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **مرجع سابق**، (٧٣/٢)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (١٧٤/٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، ح ١٤٧، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، (٨٩٠/٢).

(٥) لم أقف على تخريجه، وذكره الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣١٤/٨).

ولا يضرب الوجه، فقد سُئل صلى الله عليه وسلم: ما حق زوجة أحدنا عليه، فقال "أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت - أو اكتسبت - ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت"[١].

فإذا رجعت المرأة عن نشوزها وتابت من ذنبها فلا ينبغي أن يضربها أو يؤذيها، وإن كانت تطيعه وهي مبغضة، فليس ذلك بيدها، فلا يجني عليها ولا يؤذيها عليه[٢].

(وقال جماعة من أهل العلم: الآية على الترتيب، فالوعظ عند خوف النشوز، والهجر عند ظهور النشوز، والضرب عند تكرره، واللجاج فيه. ولا يجوز الضرب عند ابتداء النشوز)[٣].

وقد نفّر الشارع من ضرب الأزواج، وجعل الذين يضربون زوجاتهم ليسوا من خيار الناس[٤]، قال صلى الله عليه وسلم: «لقد أطاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة كلهن يشكون أزواجهن ولا تجدون أولئك خياركم»[٥]، كما روى البخاري قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم"[٦]، وبوّبه باب ما يكره من ضرب النساء.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، ح٢١٤٤، كتاب النكاح، باب في حق المرأة على زوجها، (٢١٠/٢)، وقال الألباني: حسن صحيح، وأحمد في مسنده، ح٢٠٠١١، (٢١٣/٣٣)، والنسائي في سننه، ح ٩١٢٦، كتاب عشرة النساء، باب تحريم ضرب الوجه في الأدب، (٣٦٦/٨).

(٢) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٣١٦/٨).

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، **مرجع سابق**، (٤٠٢/١).

(٤) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٧٢/١٠).

(٥) أخرجه ابن حبان، محمد، **صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ)، ح ٤١٨٩، كتاب النكاح، باب معاشرة الزوجين، (٤٩٩/٩)، قال الألباني: حديث صحيح، والطبراني في معجمه، ح٧٨٧، (٢٧٠/١)، والبيهقي في سننه، ح ١٤٧٧٥، كتاب القسم والنشوز، باب ما جاء في ضربها، (٤٩٦/٧)، وعبد الرزاق الصنعاني، **المصنف**، تحقيق: حبيب الأعظمي، ط٢، (الهند: المجلس العلمي، ١٤٠٣هـ)، ح١٧٩٤٥، كتاب العقول، باب ضرب النساء والخدم، (٤٤٢/٩).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٥٢٠٤، كتاب النكاح، باب ما يكره من ضرب النساء، (٣٢/٧).

قال القرطبي: وإذا ثبت هذا فاعلم أن الله عز وجل لم يأمر في شي من كتابه بالضرب صراحا إلا هنا وفي الحدود العظام، وهذا يدل على عظم حق الزوج، كما ولّى الأزواج ذلك دون الأئمة، وجعله لهم دون القضاة، بغير شهود ولا بينات، وذلك ائتمانا من الله تعالى للأزواج على النساء[1].

كما ختم الله الآية بقوله: {إن الله كان عليا كبيرا} وذلك (تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فإن الله العلي الكبير وليهن وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن) [2].

وعلى الزوج إذا احتاج هذا الأسلوب في تأديب زوجته الناشز، أن يتقِ الله ولا يتجاوز ويظلمها، ولا يضربها ثم يطلبها لفراشه في حينها؛ فإنّ ذلك مُنفّر لها، كما عليه مراعاتها وغض الطرف والتغافل ما استطاع، فإنّ ذلك أصلح وأبقى.

---

[1] يُنظر بتصرف: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٧٣/٥).

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٢٩٦/٢).

المطلب الثالث: التأديب بالحدود:

إنّ تعامل الشارع مع المذنبين الذين وقعوا في كبائر الذنوب وأعظمها، يختلف عن غيرها من الذنوب، فقد حدّ عليها حدودا رادعة تُكفِّر للتائب ذنبه وتؤدّبه، وتردع غيره عن مقارفتها والوقوع فيها.

وفيما يلي بيان لهذه الحدود التي جاءت في القرآن:

أولًا: حد السرقة:

شرع سبحانه حدًا لمن سرق بأن تقطع يده، تأديبا وعقابا شديدا يردعه من العودة للذنب[١]، فقال تعالى: { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[٢]، والأمر بحدّه قطعا؛ للاستصلاح وليس للانتقام[٣]، إذ (أن الحد زجر للمحدود وغيره)[٤]، وذلك من حكمته وعلمه بأنّ في ذلك صلاح للمذنبين بأن يرتدعوا، ولغير المذنبين بأن يعتبروا[٥].

ثانيًا: حد الزنا:

كما جاء الشارع الحكيم ودلّنا على الطريقة المتبعة في التعامل مع من وقع في ذنب الزنا، فقال تعالى: { الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ

---

(١) يُنظر: التحرير والتنوير (١٩٣/٦).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٨ – ٣٩.

(٣) التحرير والتنوير (١٩٣/٦).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق** (١٧٥/٦)

(٥) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٩٨/١٠).

إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }[1] فأمر سبحانه وتعالى بأن من زنى من رجل أو امرأة وهو حر بكر غير محصن بزوج، أن يُقام عليه حد الزنا، وهو الجلد مئة جلدة، عقوبة لهما وتأديبًا على صنيعهما وما أتياه من معصية الله[2].

ثمّ نبّه سبحانه وتعالى وحذّر المؤمنين من أن يشفقوا ويرقوا عن تطبيق حدود الله أو يخففوا من الضرب فلا يصير موجعًا ولا يتحقق المقصود فقال: {ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله}، بل وأمر المؤمنين بحضور مشهد إقامة الحد وتطبيقه[3]، قال ابن عاشور: (علّق بالرأفة قوله: {في دين الله} لإفادة أنها رأفة غير محمودة لأنها تعطل دين الله، أي أحكامه، وإنما شرع الله الحد استصلاحا فكانت الرأفة في إقامته فسادا. وفيه تعريض بأن الله الذي شرع الحد هو أرأف بعباده من بعضهم ببعض)[4].

وفي (الإغلاظ على الزناة والتوبيخ بحضرة الناس)[5] مزيدٌ من التأديب والزجر لهما ولغيرهما، قال الرازي: (ونبه تعالى بقوله: {من المؤمنين} على أن الذين يشهدون يجب أن يكونوا بهذا

---

(1) سورة النور، الآية: ٢.

(2) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٩٠/١٩)، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٣٧٩/٣)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٥٩/١٢)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق** (٥/٦).

(3) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٩١/١٩، ٩٥)، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٣٧٩/٣)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٦٥/١٢)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٨/٦)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (١٥٠/١٨).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (١٥٠/١٨ – ١٥١).

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٦٢/٤)، ويُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٨/٦)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (١٥٦/٦).

الوصف، لأنهم إذا كانوا كذلك عَظُم موقع حضورهم في الزجر وعَظُم موقع إخبارهم عما شاهدوا فيخاف المجلود من حضورهم الشهرة، فيكون ذلك أقوى في الانزجار)[١].

وفي هذا (نهي عن التهاون في إقامة العقوبات عمومًا، والفواحش خصوصًا لأن مبناها على المحبة والشهوة، فيزين الشيطان انعطاف القلوب على أهلها حتى يدخل كثير من الناس في الدياثة وقلة الغيرة، وربما ظن أنّ هذا رحمة ولين جانب، وإنما ذلك مهانة وضعف إيمان، وإعانة على الإثم والعدوان، وترك للتناهي عن الفحشاء والمنكر)[٢].

ثالثًا: حد القذف:

إنّ هتك الأعراض وقذفها من الذنوب العظام ومن المهلكات والكبائر؛ وذلك لما تُلحق المؤمن من أذى، وما يتبعه من طعن في النسب، وزهد الناس في القرب من المقذوف، ويتعدى ذلك إلى أهله وولده ومن اتصل به بسبب ونسب[٣]؛ قال صلى الله عليه وسلم: " اجتنبوا السبع الموبقات" قالوا : يا رسول الله وماهن؟ قال: " الشرك بالله، .... ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"[٤].

وقد جاءت عقوبة القاذف عظيمة وغليظة فقال تعالى: { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }[٥] فأمر الله تعالى بجلد الذين يرمون العفيفات من النساء بتهمة الزنا وليس لهم على ذلك أربعة شهود، بجلدهم ثمانين جلدة، ولا تُقبل شهادتهم أبدًا وأنهم فسقوا وخرجوا وخالفوا أمر الله[٦]، واشتراط

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، **مرجع سابق**، (٣١٨/٢٣).

(٢) مركز تدبر، ليدبروا آياته (حصاد ٧ سنوات من التدبر)، **مرجع سابق**، (٤١١).

(٣) الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٨١٥/٤ – ١٨١٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ح٢٧٦٦، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى:{إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى..}، (١٠/٤).

(٥) سورة النور، الآية: ٤.

(٦) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (١٠٢/١٩)، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٣٨٢/٣) وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٦٤/٤ – ١٦٥)، والرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٢٤/٢٣)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٣/٦).

أربعة شهداء والوصف التفصيلي للوطء، لم يكن إلا في الزنا؛ وذلك رحمة بالعباد وسترًا لهم[١].

قال الرازي: (أشد الضرب في الحدود ضرب الزنا، ثم ضرب شرب الخمر، ثم ضرب القاذف، لأن سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب، إلا أنه عوقب صيانة للأعراض وزجرا عن هتكها)[٢].

رابعًا: حد الحرابة:

ومما جاء فيه التذكير بالعاقبة والعقوبة ما جاء في المفسدين في الأرض، فإنّ الله أمر بإقامة الحدّ المغلظ عليهم[٣] فإنّ قوما جاؤوا للنبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الزاد، فأمر لهم بقطيع من الإبل، فأخذوها وقتلوا راعيها وكفروا بعد إسلامهم، ، فنزل قوله تعالى: { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[٤] وأقام عليهم النبي صلى الله عليه وسلم حد الحرابة[٥]، فكانت عقوبتهم أن قطع النبي صلى الله عليه وسلم أيديهم وأرجلهم وفقأ أعينهم وتركهم حتى ماتوا، وبيّن عاقبة حالهم أنّ هذا القتل والصلب

---

(١) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٧٦/١٢).

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٢٦/٢٣).

(٣) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٠١/٣).

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٥) يُنظر القصة مطولة في: البخاري، ح (٤٦١٠)، كتاب التفسير، باب (إنما جزاء الذين يحاربون..)، (١٧٦/١٥)، ومسلم، ح (١٦٧١)، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب المحاربين والمرتدين، (١٢٩٦/٣).

وتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف ونفيهم، هو خزي لهم بين الناس في هذه الحياة الدنيا، مع ما ادخر الله لهم من العذاب العظيم يوم القيامة(١).

إنّ من قامت عليه البينة عند السلطان، فتوبته لا تسقط الحد عنه؛ إذ لا يصح إسقاط الحدود بكل دعوى توبة وصلاح، فهذا يعطل الشريعة، ويكثر من النفاق والفسق والكذب، أما إذا تقادم العهد بالذنب، وتبعه صلاح طويل، وتربص أحد بالمذنب التائب لأخذه بسابقته البعيدة من الذنوب، فللحاكم أن يسقطها عنه(٢).

وينبغي تنبيه القائم بالتأديب - من زوج أو ولي أمر كالقاضي ومن يعينه في الحدود - على أن لا يكونوا أعوانًا للشيطان على المذنب، فيسخرون من المذنب ويستحقروه أو يُعيروه بذنبه(٣)، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أُتي النبي صلى الله عليه وسلم بسكران، فأمر بضربه، فمنّا من يضربه بيده، ومنّا من يضربه بنعله، ومنّا من يضربه بثوبه، فلما انصرف قال رجل: ما له، أخزاه الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تكونوا عونًا الشيطان على أخيكم"(٤).

إنّ الشارع العظيم هو خالق النفوس وهو العالم بما يُصلحها ويُربيها، فما شرع الحدود والعقوبات إلا بتمام حكمته وعلمه بأحوال الخلق وما يصلحهم، فلا يظنّ أحد أن رأفته بالمذنب ورغبته في عدم إقامة الحد عليه هو موقف رشيد رحيم، بل ما شرع الله وأمر به وجاء في القرآن أنه طريقة للتعامل مع المذنبين، فهو عين الرحمة والمصلحة.

---

(١) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (١٠١/٣)، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٢٤٣/١٠)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٤٣/٢)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٨٣/٢)، الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٤٥/١١)، الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٤٥/١١)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٤٨/٦).

(٢) يُنظر: الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٧٦٤/٢).

(٣) يُنظر: محمد الدويش، التربية النبوية، **مرجع سابق**، (٥٦٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٦٧٨١، كتاب الحدود، باب ما يُكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة، (١٥٩/٨).

الفصل الثالث:

من أسس القرآن في التعامل مع المُذنب، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الرحمة والأخلاق الحسنة.

المبحث الثاني: التبثت وحسن الظن.

المبحث الثالث: العدل والإنصاف.

مدخل

ولكي تُحقق الأساليب غايتها – وهي توبة المذنب وإقلاعه – فإنه لابد من الالتزام ببعض الأسس والأخلاق المُعينة على إنجاح الدعوة، وبغيرها لن تَنْفذ إلى قلب المذنب، ولن يستجيب، بل قد ينفر ويزداد عنادًا وتماديًا في الذنب؛ فإنّ حُسن النية بالرغبة في توبة المذنب، لا تكفي وحدها.

وهذه الأسس التي سنتناولها هي بمثابة الأصل الذي ينطلق منه الداعي أو المربي في تعامله مع المذنب، أيًا كان الأسلوب الذي سيستخدمه معه.

المبحث الأول:

الرحمة، والأخلاق الحسنة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرحمة.

المطلب الثاني: التحلي بالأخلاق الحسنة.

مدخل

إنّ من سمات المجتمع المسلم أنهم متراحمون كالجسد الواحد، يرحم بعضهم بعضًا، كما قال تعالى: { رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ }(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"(٢)، وعلى هذا فإنّ الدافع الحقيقي الذي ينبغي أن يكون خلف مناصحة المذنب وتوجيهه، هو الرحمة والخوف عليه من عذاب الله، كما كانت رحمته صلى الله عليه وسلم حينما قال: "إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وهم يقتحمون فيها"(٣).

ولا تكفي الرحمة وحدها في تقويم المذنب، بل يلزم أن يصحبها الأخلاق الحسنة، فقد تشتد رحمة المربي أو الناصح بالمذنب، وتكون بلا خُلق حسن، فيقع في تنفير المذنب أو عناده وإصراره على ذنبه، كما قرن الله تعالى بينهما في قوله سبحانه: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ }(٤).

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ح٦٠١١، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (١٠/٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ح٦٤٨٣، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، (١٠٢/٨).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

المطلب الأول: الرحمة:

من رحمة الله بالخلق أن أرسل لهم الرسل ليعلموهم ويدلوهم إلى طريق الله ومراده، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل الناس رحمة قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }(١)

وقال صلى الله عليه وسلم: "إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً"(٢)، فهو صلى الله عليه وسلم (رحمة في نفسه وهذا بيّن، أخذ به من أخذ، وأعرض عنه من أعرض) (٣)، (فمن آمن به تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر به صرفت عنه العقوبة إلى الموت والقيامة) (٤)، إذ أنّ ما جاء به فيه سعادتهم وصلاح معاشهم ومعادهم(٥)، ونجاتهم من الشقاء الدائم، فعلمهم بعد جهالة وهداهم بعد ضلالة(٦).

والدعاة والمصلحون والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، هم ورثة الأنبياء، سائرون على دربهم يُقوّمون المذنبين ويدعونهم إلى التوبة والإقلاع عن الذنوب والمعاصي، ولهذا كان الأساس الأول الذي ينبغي أن يكونوا عليه، ومنه ينطلقون ناصحين للمذنبين ومُقوّمين مشفقين، أساس الرحمة، قال تعالى مخاطبًا نبيّ الرحمة صلى الله عليه وسلم: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ }(٧) فإنّ الله تعالى

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ح٢٥٩٩، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، (٢٠٠٦/٤).

(٣) ابن عطيّة، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٠٣/٤).

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، **مرجع سابق**، (٢١٨/٣).

(٥) يُنظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، **مرجع سابق**، (٦٢/٤).

(٦) يُنظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، **مرجع سابق**، (٣١/٢).

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

جعلك على خلق عظيم بأن ليَّنَك لهم لما عَلِم تعالى من صـــلاحهم في ذلك، فإنّ المخالفين من الرُماة يوم أُحد جميعهم مســـتحقون الملامة منك، ولكن رحِم الله الجميع فألانك لهم(١)، إذ أنّ المقصود من بعثة الرسول _وهي تبليغ أوامر الله إلى الناس_ لن يتم إلا إذا مالت النفوس إليه، ولا يكون ذلك إلا إن كان رحيمًا شـــفيقًا هيّنًا ليّنًا، غير غليظ ولا قاس، كثير التجاوز والعفو والصبر عليهم والصفح عنهم(٢).

لهذا وجب على الذي يتعامل مع المذنبين أن يكون رحيمًا شفيقًا، غير غليظ القلب، تدفعه رحمته إلى الخوف على المذنب من عذاب الله وغضبه وسوء العاقبة، وأنّ تقويمه وتوجهيه شفقة عليه من العذاب، قال ابن القيم: (الرحمة صـفة تقتضـي إيصـال المنافع والمصـالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقت عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصـالحك، ودفع المضـار عنك، فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل من ولده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه ويرفّهُهُ ويريحه فهذه رحمة مقرونة بجهل) (٣).

فالرحمة أساس التعامل مع المذنبين، التي تدفع المُقوّم والناصح إلى توجهيه ونصحه ودعوته.

وقد رُوي عن عائشة رضي الله عنها زوج النّبيّ صلى الله عليه وسلم أنّها قالت للنّبيّ صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟ قال: "لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان

---

(١) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٥٣٣/١).

(٢) يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، **مرجع سابق**، (٤٠٧/٩).

(٣) ابن القيم، محمد ابن أبي بكر، **إغاثة اللهفان من مصـايد الشـيطان**، تحقيق: محمد الفقي، (الرياض: مكتبة المعارف)، (١٧٤/٢).

أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل(١) بن عبد كلال(٢)، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت. وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلّا وأنا بقرن الثّعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ، ثمّ قال: يا محمّد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"(٣).

فإذا كانت هذه رحمة النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه مع الكفار المشركين المُعاندين، فكيف بالمذنبين من المسلمين؟ فلنا فيه أسوة حسنة.

---

(١) عبد يا ليل بن جرهم بن قحطان، عبد الملك بن هشام، **التيجان في ملوك حمير**، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، (صنعاء: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ١٣٤٧هـ)، (٢١٢).

(٢) حسان بن عبد كلال الحميري ملك حمير في جيش اليمن الذي أراد نقل حجر الكعبة من مكة إلى اليمن ليجعل حج الناس ببلاده، يُنظر: محمد المرزباني، **معجم الشعراء**، تحقيق: ف. كرنكو، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ)، (٣١٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ح٣٢٣١، كتاب بدء الوحي، باب إذا قال أحكم آمين، (١١٥/٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، ح١٧٩٥، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، (١٤٢٠/٣).

المطلب الثاني: التحلي بالأخلاق الحسنة:

ويلزمُ مراعاة الأخلاق الحسنة من صبر وسعة صدر وحلم وعفو وصفح وبشاشة، حتى تصل النصيحة والدعوة إلى قلب المذنب فيُقلع ويتوب، وأن يحذر الجفاء والغلظة والقسوة وسوء الخُلُق فإنّ ذلك يُنفّر الناس ويُبغضهم، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}(١) فليعلم المربي والآمر بالمعروف أنّ الذكاء وغزارة العلم وعظم الثروة لا تكسبه القبول عند الناس، إلا أن يكون صاحب خلق كريم(٢).

قال السعدي: (فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟!)(٣).

وينبغي التنبيه على أهمية التحلي بالصبر وعدم الغضب وكظم الغيظ، وذلك لأن الغضب والحُنْق قد يؤدي إلى مفاسد أعظم من الذنب الواقع من المذنب، وقد يكون انتقامًا لحظ نفسه وليس لله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ، مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ"(٤)، وقال تعالى: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) مركز تدبر، ليدبروا آياته (حصاد ٧ سنوات من التدبر)، **مرجع سابق**، (١٤١).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ١٥٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، ح ٤١٨٩، كتاب الزهد، باب الحلم، (١٤٠١/٢)، وقال المحققون: إسناده صحيح.

الْجَاهِلِينَ}(١) قال ابن تيمية(٢): (وهذه الآية فيها جماع الأخلاق الكريمة؛ فإن الإنسان مع الناس إما أن يفعلوا معه ما يحب أو ما يكره، فأمر أن يأخذ منهم ما يحب ما سمحوا به ولا يطالبهم بزيادة، وإذا فعلوا معه ما يكره أعرض عنهم وأما هو فيأمرهم بالمعروف) (٣).

وليحذر الناصح والمُقوِّم الذي يُباشر التعامل مع المذنب من الكِبْر والعُجب والاغترار بالسلامة من الذنب، فقد يكون قلب المذنب أسلم وأكثر قربًا لله بأن يكون نادمًا خائفًا منكسرًا فيكون سببًا لغفران ذنبه، وتُعجب أنت بعملك وتستكبر فيُحبط عملك(٤)، فقد رُوي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حدّث: " أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ " (٥).

إنّ الرحمة والشفقة على المذنب بلا أخلاق حسنة، لا تكفي، فلو أُغلظت العبارة وقسَت الطريقة على المذنب، فإنّه لن يقبل ولن يستجيب بل قد يزداد عنادًا وإصرارًا واستكبارًا، فقد قال الله لنبيّه صلى الله عليه وسلم: {لَانْفَضُّوا}.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٢) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الحنبلي. ولد في حران ونشأ في دمشق واشتهر بها. ناظر العلماء في مصر وبرع في العلم والتفسير وأفتى وهو دون العشرين. تعرض للأذى في سبيل نشر الدين، فاعتقل مرار إلى أن مات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته، توفي سنة ٧٢٨هـ. صنف تصانيف كثيرة، منها: الفتاوى، والإيمان، والجمع بين النقل والعقل، ومنهاج السنة. يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، **مرجع سابق**، (٢٣/٢٩١-٢٩٣).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، **مرجع سابق**، (٣٠/٣٧٠ – ٣٧١).

(٤) يُنظر: سليمان الحقيل، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة**، ط٤، (١٤١٧هـ)، (ص: ١٤٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، ح٢٦٢١، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله، (٤/٢٠٣٣).

المبحث الثاني:

التثبت، وحسن الظن. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التبين والتثبت.

المطلب الثاني: حسن الظن، وترك التجسس.

مدخل

إنّ أحكام الشريعة المتعلقة بالتعامل مع المذنبين، مبنية على الظواهر الواضحة، لا الظنون والشكوك، وهذا مما يقطع على الناس باب الترصد والتنقيب عن البواطن.

كما أنّ إطلاق الأحكام على المذنبين وإقامة الحدود والعقوبات، لا يكون إلا بعد التثبت والتبين من حال المذنب، دون تجسس ولا تتبُع.

ولهذا كان من الأســـس التي ينبغي الانطلاق منها في التعامل مع جميع المذنبين، التثبت وحسن الظن وعدم التجسس.

المطلب الأول: التبيّن والتثبت:

إنّ البراءة والسلامة أصل في المسلمين، فلا يُقبل قول من اتهم غيره بالوقوع في ذنب إلا أن يكون عدلًا لا فاسقًا ولا فاجرًا، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }(١) فأمر سبحانه وتعالى بالتثبت والتبيّن إن كان الذي جاء بالخبر فاسقًا، فلا يُقبل كلامه بلا تثبت وتأكد، لأن في ذلك ضرر وإثم، لأنّه إن أُخذ بكلامه كما يُؤخذ بقول الصادق العدل، وحُكم بمقتضاه، حصل من تلف النفوس والأموال بغير حق، ما يكون سببًا للندامة(٢)،(وكلما كان أثر الخبر عظيما على الناس، كان التثبت فيه أعظم وأوجب)(٣).

ومما يُفهم من الآية أنّ الخبر إن كان من عدل غير فاسق فإنّه لا يلزم التبيّن ولا التثبت، أما الفاسق فشهادته مردودة(٤)، وذلك لضعف وازعه الديني الذي جرّأه على الاستخفاف بحرمات الله وارتكابها، مما لا يمنع من استخفافه بالشهادة والاختلاق على غيره بما فيه إضرار(٥)، (فإن من لا يبالي بالفسق لا يبالى بالكذب الذي هو من فصيلته) (٦).

قال السعدي: (الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كُذِّب، ولم يعمل به، ففيه دليل، على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب، مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه) (٧).

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.
(٢) يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٨٠٠).
(٣) الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٠٦٤/٤).
(٤) يُنظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، **مرجع سابق**، (٤١١/٧).
(٥) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٢٣١/٢٦).
(٦) لمراغي، تفسير المراغي، **مرجع سابق**، (١٢٦/٢٦).
(٧) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **مرجع سابق**، (ص: ٨٠٠).

وفي الآية تحذير (ولاة الأمور من أن يصيبوا أحدا بضر أو عقاب أو حد أو غرم دون تبين وتحقق توجه ما يوجب تسليط تلك الإصابة عليه بوجه يوجب اليقين أو غلبة الظن، وما دون ذلك فهو تقصير يؤاخذ عليه) (١).

(والأمر بالتبين أصل عظيم في وجوب التثبت في القضاء وأن لا يتتبع الحاكم القيل والقال ولا ينصاع إلى الجولان في الخواطر من الظنون والأوهام، ومعنى فتبينوا تبينوا الحق، أي من غير جهة ذلك الفاسق، فخبر الفاسق يكون داعيا إلى التتبع والتثبت لا يصلح لأن يكون مستندا للحكم بحال من الأحوال) (٢).

فاحذروا من أن تصيبوا قوما بظلم عن جهالة وتسرع، فتندمون على ارتكاب ما يغضب الله، ويجانب الحق والعدل في اندفاع وعجلة (٣).

وناقل الخبر لا يُعفى من إثم عدم التثبت، وإن لم يكن هو قائله، فإنّ الناقل شريك في حكاية الأقوال بلا تثبت(٤)، كما قال صلى الله عليه وسلم: " كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع"(٥).

فعلى الدعاة والموجهين والمُقوّمين أن يتثبتوا ويتبيّنوا قبل قبول الأخبار التي تتهم مؤمنًا بذنب، وعليهم أن لا يعملوا بمقتضاها إلا بعد التثبت، حتى لا يُصيبوا أحدًا بسوء بدون موجب له، فإنّ التثبت من خبر من لم يُعرف عنه التقى والاستقامة واجب، وذلك صونًا لحُرمات المؤمنين وأرواحهم وأموالهم(٦).

---

(١) ابن عاشـــور، التحرير والتنوير، **مرجع ســـابق**، (٢٣٤/٢٦)، ويُنظر: للتفســـير المنير، **مرجع ســـابق**، (٢٢٧/٢٦)..

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، **مرجع سابق**، (٢٣١/٢٦).

(٣) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، **مرجع سابق**، (٣٣٤١/٦).

(٤) يُنظر: الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٠٦٥/٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، ح٥، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، (١١/١).

(٦) يُنظر: الجزائري، أيسر التفاسير (١٢٥/٥)، ويُنظر: الزحيلي، للتفسير المنير، **مرجع سابق**، (٢٢٧/٢٦).

قال ابن تيمية: (على المحتسب أن يتبين الأمر حتى يتضح له قبل أن يحكم عليه بالإنكار رعاية لحقوق الغير وصونا لحرمات الناس، فمتى ثبت له داعي الإنكار أقدم فأنكر) [1].

[1] ابن تيمية، أحمد ابن عبد الحليم، **الحسبة في الإسلام**، (دار الكتب العلمية)، (ص: ٧٨).

المطلب الثاني: حسن الظن وعدم التجسس:

نهى الله تعالى عن إساءة الظن ونهى عن التجسس، فقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا }(١) ولم ينهَ الله عن جميع الظن، حتى لا يشمل النهي الظن الحسن؛ فإن الله أمر بإحسان الظن بالناس، وحمل أقوالهم وأفعالهم على محامل حسنة(٢)، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونا عباد الله إخوانا "(٣).

(وإنما نهى الله عن الظن قبل نهيه عن التجسس في قوله: " ولا تجسسوا"، لأن التجسس يبدأ بظن السوء، ثم يريد الظان أن يؤكد ظنه، فيتجسس على غيره، وبمثل الآية رتب النبي صلى الله عليه وسلم النهي، فنهى عن الظن قبل نهيه عن التجسس، لأن الظن يدفع إليه)(٤).

فالمؤمن مأمور باجتناب كثير من الظن، وأن لا يعمل ولا يتكلم بحسبه؛ فإنه يؤدي إلى التقاطع والتدابر(٥).

والتجسس كبيرة من كبائر الذنوب، حيث إنّ الأصل فيما نهى الله عنه صريحا في القرآن أنه كبيرة، ما لم تدخل عليه قرينة تصرفه عن ذلك، كما أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لو اطلع في بيتك أحد ولم تأذن له خذفته بحصاة ، ففقأت عينه ما كان عليك من جناح"(٦) ولا تهدر العين إلا بفعل كبيرة من الكبائر(٧).

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.
(٢) يُنظر: الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٠٧٥/٤).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٦٠٦٤، كتاب الأدب، باب ما يُنهى عن الحسد والتدابر، (١٩/٨).
(٤) الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٠٧٥/٤).
(٥) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (١٥٠/٥).
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، ح ٦٨٨٨، كتاب الديات، باب من أخذ حقه أو اقتص دون السلطان، (٧/٩).
(٧) يُنظر: الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٢٠٧٥/٤).

والنهي عن الظن نهي عن الاتهام بلا سبب ولا قرينة، كمن يتهم أحدًا بالزنا أو بشرب الخمر ولم يظهر عليه ما يدل على ذلك، ويأتي التجسس ليتحقق من صحة تهمته، فيبحث ويتسمّع(١).

قال الطبري: (ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره) (٢).

فقد قال صلى الله عليه وسلم: " لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ"(٣).

قال القرطبي: (والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حرامًا واجب الاجتناب، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم، بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث) (٤).

وهذه الآية نص يقيم مبدأ في التعامل، فلا يُحاسب أحد ولا يُحاكم بظن، بل لا يجوز التتبع للتحقق من الظن السيء لمحاكمة المذنب، فالأصل البراءة والسلامة حتى يثبت غير ذلك بوضوح بلا تجسس ولا سوء ظن، ولا يكفي الظن لتتبعهم وكشف حالهم وانتهاك حرمات الأسرار والعورات، حتى في الجرائم والكبائر، فالناس على ظواهرهم، وليس لأحد أن يتعقب بواطنهم وحسابهم على الله(٥).

---

(١) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣٣١/١٦).

(٢) الطبري، جامع البيان لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣٠٤/٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، ح٢٠٣٢، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، (٣٧٨/٤)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (٣٣١/١٦ – ٣٣٢).

(٥) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، **مرجع سابق**، (٣٣٤٥/٦ – ٣٣٤٦).

قال ابن تيمية: (أمرنا أن نجري أحكام الناس على الظواهر من غير استكشاف عن الأمور الباطنة) (١)، ثم قال: (فليس للمحتسب أن يتجسس ولا أن يبحث أو يقتحم على الناس دورهم بظن أن فيها منكرا، لأن ذلك من قبيل التجسس المنهي عنه) (٢)، ولو كان بحسن نية فإنّ النهي عام(٣).

(١) ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، **مرجع سابق**، (ص: ٤٨).
(٢) **المرجع السابق**، (ص: ٤٩).
(٣) محمد الدويش، التربية النبوية، **مرجع سابق**، (٥٩٣).

المبحث الثالث:

العدل والإنصاف. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العدل عند المؤاخذة.

المطلب الثاني: الإنصاف بعد التوبة.

مدخل

إنّ مؤاخذة المذنب ومعاقبته قد تصدر من انفعال شخصي، وانتصار لحق النفس، فيتجاوز المربي أو الناصح الحد المأمور به شرعًا في تقويم هذا المذنب؛ لذلك كان من الأسس الركيزة التي ينبغي اعتبارها في التعامل مع المذنب، العدل والإنصاف.

فليس كونه مُذنبًا يسلبه أي اعتبار له، ويجعله مستباح العرض والدم، فقد قال تعالى: { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى }[1] فحتى ولو كان ظالمًا فينبغي العدل عند مؤاخذته والتعامل معه.

كما يجب الكفُّ عن توبيخ المذنب وتعييره بعد توبته، والإنصاف في التعامل معه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨.

المطلب الأول: العدل عند المؤاخذة:

أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل فقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ }(١)، فـ(قرن الله العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى بالنهي عن الفاحشة والبغي؛ لأنه إذا حضر العدل غاب البغي والفواحش)(٢).

وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }(٣) فأمر بالقيام بالقسط والعدل مع الأولياء ومع الأعداء، وعدم مجاوزة حدود الله حتى مع الأعداء(٤)، فلا (يحملنكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم، بل اعدلوا فيهم وإن أساؤوا عليكم، وأحسنوا إليهم وإن بالغوا في إيحاشكم، فهذا خطاب عام، ومعناه أمر الله تعالى جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحدا إلا على سبيل العدل والإنصاف، وترك الميل والظلم والاعتساف) (٥).

وفي الآية (تنبيه عظيم على وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله تعالى، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه) (٦).

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٢) الطريفي، التفسير والبيان لأحكام القرآن، **مرجع سابق**، (١٦٧٦/٤).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، **مرجع سابق**، (٩٥/١٠)، ويُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، **مرجع سابق**، (٢٨/٢).

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٣٢٠/١١).

(٦) **المرجع السابق**، (٣٢٠/١١)، ويُنظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٢/٣).

فيجب العدل مع الجميع بلا محاباة لأحد لقرابة أو مال أو جاه أو مسكنة، لا لمشهود له ولا لمشهود عليه، ملتزمًا أمر الله بالعدل والقسط فوق حظوظ النفس ورغم كل محبة أو عداوة(١)، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }(٣٢) وهذه الآية كما سبق بيانه نزلت تأمر بالقيام بالقسط والعدل _في حادثة اتهام اليهودي ظلمًا وبهتانًا من قبل أحد المسلمين_ وإن كانت الشهادة على الوالدين والأقربين، فلا يُراعون، ولا غني لغناه ولا شفقة على فقير لفقره، فالله يتولاهم، بل تجب الشهادة بالحق وإن عاد ضررها عليهم، فإن الحق حاكم على كل أحد، وهو مقدم على كل أحد(٤).

فالعدل هو ميزان الحقوق، ومتى ما اختل ميزانه انتشر الفساد في الأمة وتقطعت روابطها(٥).

فيجب على المصلحين والمربين أن لا يأخذهم الغضب والحُنق من المذنب فيؤدي بهم إلى ظلمه، كزيادة عدد الجلدات أو قوتها في الحدود، وأن لا يتجاوزوا الحد الشرعي في التوبيخ أو العقوبة أو المؤاخذة بلا وجه حق، فيفسدون من حيث أرادوا أن يُصلحوا.

---

(١) يُنظر: المراغي، تفسير المراغي، **مرجع سابق**، (٦٨/٦).
٢

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

(٤) يُنظر: تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٤٣٣/٢).

(٥) يُنظر: المراغي، تفسير المراغي، **مرجع سابق**، (٦٨/٦).

المطلب الثاني: الإنصاف بعد التوبة:

إنّ الغاية من مناصحة المذنب ومؤاخذته بالعقوبة، هي التوبة والإقلاع عن الذنب، فإذا تاب وأقلع وندم على ما فات، فينبغي التوقف عن توبيخه أو معاقبته، كما قال تعالى: { وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا }(١) أي إن تركا ما كانا عليه وأقلعا وصلحت أعمالهما، فلا تعنفوهما ولا توبخوهما لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له(٢)إذ (التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب) (٣)، فإنّ (من أقبح الخلال، تعنيف المذنبين والمخطئين بعد اعترافهم وتوبتهم، وقد يدعوهم ذلك إلى معاودة الذنب)(٤).

فإنّ الذي أمر بالعقوبة هو الذي أمر بالكف عنها عند التوبة والإصلاح، فله الأمر في الأولى والآخرة وله الحكم يقبل التوبة ويرحم التائبين(٥).

كما ثبت في الصحيحين أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِذَا زَنَتِ الأَمَةُ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا وَلاَ يُثَرِّبْ(٦)، ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَلْيَجْلِدْهَا، وَلاَ يُثَرِّبْ"(٧) فلا يعيرها بما صنعت بعد الحد، الذي هو كفارة لما صنعت، كما أنزل الله في أبي بكر رضي الله عنه - لما حلف ألا ينفق على مسطح رضي الله عنه بعد قذف عائشة رضي الله عنها- قوله تعالى: { وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦.

(٢) يُنظر: تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، **مرجع سابق**، (٢٣٥/٢).

(٣) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، **مرجع سابق**، (١٥٥/٢).

(٤) مركز تدبر، ليدبروا آياته (حصاد ٧ سنوات من التدبر)، **مرجع سابق**، (١٥٥).

(٥) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، **مرجع سابق**، (٦٠٠/١).

(٦) أي لا يُوبخ، أحمد ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد عبد الباقي، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، (٩٤/١).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، ح٢١٥٢، كتاب البيوع، باب بيع العبد الزاني، (٧١/٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، ح١٧٠٣، كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، (١٣٢٨/٣).

يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }(١) ولم يُشر الله إلى ذنب مسطح رضي الله عنه حيث تم إقامة الحد عليه فطّهره، وهذا ما ينبغي في التعامل مع أصحاب الذنوب بمثل ذلك إذا تابوا أو طهروا؛ فلا نذكرهم بسوءٍ أبدًا(٢).

كما قال الله للأزواج بعد أن مكّنهم من تأديب زوجاتهنّ إذا نشزوا: { وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا }(٣) (وذلك تنبيه يجري مجرى التصريح في أنه مهما حصل الغرض بالطريق الأخف وجب الاكتفاء به، ولم يجز الإقدام على الطريق الأشق) (٤)، قال ابن عطية: (العظة والهجر والضرب مراتب، إن وقعت الطاعة عند إحداها لم يتعد إلى سائرها) (٥)، فإنّه (مع علوه وكبريائه لا يؤاخذ العاصي إذا تاب، بل يغفر له، فإذا تابت المرأة عن نشوزها فأنتم أولى بأن تقبلوا توبتها وتتركوا معاقبتها) (٦).

وذلك (سماحة ورحمة بالتائبين المتطهرين المصلحين، وقبولهم في المجتمع، وعدم تذكيرهم وتعييرهم بما كان منهم من ذنب تابوا عنه، وتطهروا منه، وأصلحوا حالهم بعده، فينبغي -

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.
(٢) يُنظر: مركز تدبر، ليدبروا آياته (حصاد ٧ سنوات من التدبر)، **مرجع سابق**، (٤١٥).
(٣) سورة النور، الآية: ٢٢.
(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٧٢/١٠).
(٥) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، **مرجع سابق**، (٤٨/٢).
(٦) الرازي، مفاتيح الغيب، **مرجع سابق**، (٧٣/١٠).

حينئذ- مساعدتهم على استئناف حياة طيبة نظيفة كريمة، ونسيان جريمتهم حتى لا تثير في نفوسهم التأذي كلما واجهوا المجتمع بها مما قد يحمل بعضهم على الانتكاس والارتكاس، واللجاج في الخطيئة، وخسارة أنفسهم في الدنيا والآخرة، والإفساد في الأرض، وتلويث المجتمع، والنقمة عليه في ذات الأوان)(١).

وقد قال تعالى في كتابه: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ }(٢) وقال صلى الله عليه وسلم: " لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ "(٣). قال ابن تيمية معلقًا على هذا الحديث: (ولكن وده وحبه بحسب ما يتقرب إليه العبد بعد التوبة؛ فإن كان ما يأتي به من محبوبات الحق بعد التوبة أفضل مما كان يأتي به قبل ذلك كانت مودته له بعد التوبة أعظم من مودته له قبل التوبة؛ وإن كان أنقص كان الأمر أنقص؛ فإن الجزاء من جنس العمل؛ وما ربك بظلام للعبيد)(٤).

فإذا كان العبد بعد توبته محبوبًا عند الله، فلا ينبغي تذكيره وتوبيخه بما انتهى عنه وأقلع.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، **مرجع سابق**، (٦٠٠/١).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، ح٢٧٤٤، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، (٢١٠٣/٤).

(٤) ابن تيمية، أحمد ابن عبد الحليم، **الفتاوى الكبرى**، تحقيق: حسنين مخلوف، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٦هـ)، (٢٦٦/٥).

فعلى الدعاة والناصحين والموجهين عدم تعيير المذنب بذنبه الذي تاب عنه، فمن الإنصاف والعدل حفظ مكانته بعد التوبة، فإنّ الذي أمر بنصحه وتقويمه، هو الذي أمر بالكف عنه إذا ما تاب وأصلح، فليحذر الناصح من أن يتشفى لنفسه وينسى حق الله فيه بالكف عنه بعد توبته.

الخـــــــــاتمة

الحمد لله الذي أكرمني بإتمام هذا البحث، ونخلص إلى أهم نتائج البحث:

- تنوع طرق القرآن وأساليبه في التعامل مع المذنبين.
- من أساليب القرآن الموعظة المباشرة أو التعريض بها، وكذلك التذكير بالله والدار الآخرة، وهذه الأساليب أكثر ما تؤثر في ذوي القلوب اليقظة.
- ومن أهم الأساليب والطرق التذكير بأنّ باب التوبة مفتوح، لئلا يصل المذنب إلى القنوط واليأس.
- ومن أساليب القرآن في التعامل مع المذنب الحوار لأجل العتاب أو لأجل المواجهة بالذنب.
- ومن أساليب القرآن أيضًا أسلوب التصحيح، إما تصحيحًا لمفهوم أو بتقديم البديل.
- كذلك من طريقة القرآن في التعامل مع المذنب التوجيه بالأمر والنهي صراحة، وذلك مما يُسهل على المذنب الامتثال.
- ومن طريقة القرآن في التعامل مع المذنب الزجر والتأديب بالحدود والكفارات، فهذه الأساليب تُستخدم عند تعظيم الأمر والذنب في نفس المذنب، أو عند وقوعه في الكبائر.

- إنّ الرحمة من أهم أسس التعامل مع المذنبين؛ إذ هي الباعث على المناصحة والتوجيه، ويلزم معها التحلي بالأخلاق الحسنة؛ لئلا ينفِّر المذنب.
- أكّد القرآن على أهمية التثبت قبل إطلاق الأحكام، وأمر باجتناب سوء الظنّ، وحرّم التجسس؛ وذلك مما يؤكد أنّ التعامل يُبنى على الظواهر دون التنقيب عن البواطن وما خفي.
- يُعدّ العدل والإنصاف من أهم ركائز إصلاح المذنبين وتقويمهم، فإن الظلم والافتراء منفّر ومانع من قبول الحق وترك الذنب والتوبة.

التوصيات:

- إعداد دراسة مستقلة للأسس القرآنية في التعامل مع المذنبين.
- إقامة دورات تثقفية على مستوى كافة الجهات التعليمية كالمدارس والجامعات وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتسليط الضوء عليها.
- ضرورة اهتمام الموجهين والمربين بالقرآن وتفسيره واستنباط الأساليب والأسس التربوية الصحيحة منها، والعمل على تفعيلها، لإيجاد الحلول لكثير من المشكلات التي تواجه المجتمع المسلم.

هذا ما تيسر إعداده، وتهيأ إيراده، فما أصبت فمن الله وحده، وما أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المراجع:

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي (١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م) الجرح والتعديل، الهند- بيروت: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- دار إحياء التراث العربي.

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، **تفسير القرآن العظيم**، ط٣، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩ هـ)

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوى ومحمود الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية.

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م) أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الجزري، شمس الدين محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

ابن الجزري، شمس الدين محمد، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن السَّلَّار، عبد الوهاب بن يوسف الشافعي (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، تحقيق: أحمد محمد عزوز، بيروت: المكتبة العصرية.

ابن العربي، محمد بن عبد الله (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) أحكام القرآن، ط٣، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دمشق – بيروت: دار ابن كثير.

ابن المنذر، محمد بن إبراهيم (١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م)، تفسير القرآن، تحقيق: سعد السعد، المدينة النبوية: دار المآثر.

ابن الهائم، أحمد بن محمد (١٤٢٣ هـ) التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: ضاحي عبد الباقي، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي (١٤٢٢ هـ) زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) مجموع الفتاوى، ج١٣، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن حبان، محمد بن حبان (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م) الثقات، حيدر آباد الدكن الهند: دائرة المعارف العثمانية.

ابن حبان، محمد بن حبان (١٣٩٦هـ) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، حلب: دار الوعي.

ابن حجر، أحمد بن علي (١٣٧٩هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.

ابن حنبل، أحمد الشيباني (١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م) مسند الإمام احمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن خالويه، الحسين بن أحمد (١٤٠١ هـ) الحجة في القراءات السبع، ط٤، تحقيق: العال سالم مكرم، بيروت: دار الشروق.

ابن خِلِّكَان، أحمد (١٩٠٠م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عبّاس، بيروت: دار صادر.

ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، المدينة المنورة: مكتبة الإيمان.

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م) ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، الرياض: مكتبة العبيكان.

ابن رشد، محمد بن أحمد (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، القاهرة: دار الحديث.

ابن سعد، محمد بن سعد (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عادل، سراج الدين عمر بن علي (١٤١٩ هـ -١٩٩٨م) اللباب في علوم الكتاب ، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤ هـ) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عباس، عبد الله، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن عبد البرّ، يوسف بن عبد الله (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) الاسْتيعاب في معرفة الأصْحاب، تحقيق: علي البجاوي، بيروت: دار الجيل.

ابن عساكر، علي بن الحسن، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن عطية، عبد الحق بن غالب (١٤٢٢ هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن فرحون، إبراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) زاد المعاد في هدي خير العباد، ط ٢٧، بيروت، الكويت: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م) البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر(١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م) تفسير القرآن العظيم، ط٢، تحقيق: سامي سلامة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن ماجة، محمد بن يزيد (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمد بللي وعبد اللطيف حرز الله، بيروت: دار الرسالة العالمية.

ابن منصور، سعيد بن منصور (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) التفسير من سنن سعيد بن منصور، تحقيق: د. سعد آل حميد، الرياض: الصميعي للنشر والتوزيع.

ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤ هـ) لسان العرب، ط٣، بيروت: دار صادر.

أبو السعود، محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو حذيفة، نبيل بن منصور، (١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م)، أنِيسُ السَّارِي في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، تحقيق: نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة، لبنان، مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان.

أبو حيان، محمد بن يوسف (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تحقيق: سمير المجذوب، بيروت: المكتب الإسلامي.

أبو حيان، محمد بن يوسف (١٤٢٠ هـ) البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر.

أبو داود، سليمان السِّجِسْتاني، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية.

أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد ابن زنجلة (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) حجة القراءات، ط٥، تحقيق: سعيد الأفغاني، بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو نعيم، أحمد الأصبهاني (١٤١٠ هـ-١٩٩٠م)، تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان) ، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلمية.

الأدنه وي، أحمد بن محمد (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م) طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، السعودية: مكتبة العلوم والحكم.

الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي (١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م) معاني القراءات، المملكة العربية السعودية: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود.

الألباني، محمد ناصر الدين (١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الرياض: دار المعارف.

الألباني، محمد ناصر الدين، (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م) صحيح سنن الترمذي، الرياض: مكتبة المعارف.

الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، الطبعة المجددة والمزيدة والمنقحة.

الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن النسائي، (برنامج منظومة التحقيقات الحديثية) الإسكندرية: من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة. (مرقم آلي).

الألباني، محمد ناصر الدين (١٤٠٥ هـ -١٩٨٥م) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط٢، إشراف: زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي.

الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن أبي داود، (برنامج منظومة التحقيقات الحديثية) الإسكندرية: من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة. (مرقم آلي).

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (١٤١٥ هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٢، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية.

الإيجي، محمد بن عبد الرحمن، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م) ٣١٥.

البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٢٢هـ) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، تحقيق: محمد الناصر، بيروت: دار طوق النجاة.

البزار، أحمد بن عمرو، مسند البزار= البحر الزخار، (٢٠٠٩م) تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

البغوي، الحسين بن مسعود (١٤٢٠ هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

البكري، عبد الله بن عبد العزيز (١٤٠٣ هـ) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ط٣، بيروت: عالم الكتب.

البيضاوي، عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ)

الترمذي، محمد بن عيسى (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م) سنن الترمذي، ط٢، تحقيق:إبراهيم عطوة عوض، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط٥، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

الجمل، حسن عز الدين (٢٠٠٣ - ٢٠٠٨ م) مخطوطة الجمل، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الحاكم، محمد بن عبد الله (١٤١١ – ١٩٩٠) المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.

الحجازي، محمد محمود (١٤١٣ هـ) التفسير الواضح، ط١٠، بيروت: دار الجيل الجديد.

الحربي، حسين بن علي (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، الرياض: دار القاسم.

الحموي، ياقوت الرومي (١٩٩٥ م) معجم البلدان، ط٢، بيروت: دار صادر.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد (١٤١٥ هـ) لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية.

الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف (١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م) أوضح التفاسير، ط٦، مصر: المطبعة المصرية ومكتبتها.

الخليلي، خليل بن عبد الله (١٤٠٩هـ) الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: د. محمد إدريس، الرياض: مكتبة الرشد.

الدبل، محمد بن سعد (١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م) دليل البلاغة القرآنية، ط٢، الرياض: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

الدعاس،أحمد وحميدان، أحمد والقاسم، إسماعيل (١٤٢٥ هـ) إعراب القرآن الكريم، دمشق: دار المنير ودار الفارابي.

الذهبي، محمد بن أحمد (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي البجاوي، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

الذهبي، محمد بن أحمد (١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، بيروت: دار الكتب العلمية.

الذهبي، محمد بن أحمد (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م) تذكرة الحفاظ، بيروت: دار الكتب العلمية.

الذهبي، محمد بن أحمد (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) سير أعلام النبلاء، القاهرة: دار الحديث.

الراغب الأصفهانى، الحسين بن محمد (١٤١٢ هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية.

الراغب الأصفهانى، الحسين بن محمد (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م) تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، جمهورية مصر العربية: كلية الآداب بجامعة طنطا.

الزجاج، إبراهيم بن السري (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت: عالم الكتب.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى (١٤١٨هـ) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط٢، دمشق: دار الفكر المعاصر.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى (١٤٢٢ هـ) التفسير الوسيط، دمشق: دار الفكر.

الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين.

الزمخشري، محمود بن عمرو (١٤٠٧ هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي.

السجستاني، محمد بن عُزير (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، تحقيق: محمد جمران، سوريا: دار قتيبة.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).

السَّقَّاف، علوي بن عبد القادر (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، الخبر: دار الهجرة للنشر والتوزيع.

السمعاني، منصور بن محمد (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م) تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض: دار الوطن.

السمهودي، علي بن عبد الله، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، طبع على نفقة: حبيب محمود أحمد، تحقيق: محمد الأمين محمد الجكيني.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق: دار القلم.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م) الإتقان في علوم القرآن تحقيق: محمد إبراهيم، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (١٣٩٦هـ) طبقات المفسرين العشرين، تحقيق: علي محمد عمر القاهرة: مكتبة وهبة.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، تحقيق: عبد الله التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية الدكتور عبد السند يمامة، (القاهرة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية الدكتور عبد السند يمامة) (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، لباب النقول في أسباب النزول، تحقيق: أحمد عبد الشافي، لبنان: دار الكتب العلمية.

الشاربي، سيد قطب (١٤١٢ هـ) في ظلال القرآن، ط١٧، بيروت- القاهرة: دار الشروق.

الشربيني، محمد بن أحمد (١٢٨٥ هـ) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، القاهرة: مطبعة بولاق (الأميرية).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع).

الشوكاني، محمد بن علي فتح القدير، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب).

الصابوني، محمد علي (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) صفوة التفاسير، القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

الصفدي، صلاح الدين خليل (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م) الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى بيروت: دار إحياء التراث.

الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (١٤١٩هـ) تفسير عبد الرزاق، تحقيق: د. محمود عبده، بيروت: دار الكتب العلمية.

الطبراني، سليمان بن أحمد (١٤١٥هـ) المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، القاهرة: دار الحرمين.

الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، ط٢، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)

العثيمين، محمد بن صالح (١٤٣٣) تفسير القرآن الكريم، ط٢، الدمام: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

العجلى، أحمد بن عبد الله (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م) تاريخ الثقات، مكة المكرمة: دار الباز.

العجلي، أحمد بن عبد الله (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تحقيق: عبد العليم البستوي، المدينة المنورة: مكتبة الدار.

العسقلاني، أحمد بن حجر (١٣٢٦هـ) تهذيب التهذيب، الهند: دائرة المعارف النظامية.

العسقلاني، أحمد بن حجر(١٣٧٩هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.

العسقلاني، أحمد بن حجر (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ط٢، تحقيق: محمد ضان، صيدر اباد الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية.

العسقلاني، أحمد بن حجر (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، سوريا: دار الرشيد.

العسقلاني، أحمد بن حجر (١٤١٥ هـ) الإصابة في تمييز الصّحابة، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلى معوض بيروت: دار الكتب العلمية.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، (عيسى البابي الحلبي وشركاه).

العينى، بدر الدين محمود، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الغزي، نجم الدين محمد (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية.

الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة.

الفقيه، عطية بن نوري (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) القاموس المحيط، ط٨، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (١٤١٨ هـ) محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية.

القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة - القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب، بيروت: دار الكتاب العربي.

القرطبي، محمد بن أحمد (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م) الجامع لأحكام القرآن، ط٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية.

القزويني، أحمد بن فارس (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الأردن: دار الفكر.

القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بصحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

القلموني، محمد رشيد بن علي رضا (١٩٩٠ م) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المتقي الهندي، علي بن حسام الدين (١٤٠١هـ-١٩٨١ م) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ط٥، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، بيروت: مؤسسة الرسالة.

المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، القاهرة: دار الحديث.

المراغي، أحمد بن مصطفى (١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م) تفسير المراغي، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.

المزي، يوسف بن عبد الرحمن،(١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة.

المزيني، خالد (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، الدمام - المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.

النَّحَّاس، أحمد بن محمد (١٤٢١ هـ) إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت: دار الكتب العلمية.

النسائي، أحمد بن شعيب(١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م) السنن الكبرى، تحقيق: حسن شلبي، بيروت: مؤسسة الرسالة.

النسائي، أحمد بن شعيب (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

النسفي، عبد الله بن أحمد (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، بيروت: دار الكلم الطيب، ٣١٢.

النوري، علي بن محمد الصفاقسي (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م) غيث النفع في القراءات السبع، تحقيق: أحمد الحفيان، بيروت: دار الكتب العلمية.

الهُذَلي، يوسف بن علي (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، تحقيق: جمال بن السيد الشايب، القاهرة: مؤسسة سما للتوزيع والنشر.

الهرري، محمد الأمين بن عبد الله (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: هاشم مهدي، بيروت: دار طوق النجاة.

الهيثمي، علي، (١٤١٤ هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة : مكتبة القدسي.

الواحدي، علي بن أحمد (١٤١١ هـ) أسباب نزول القران، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية.

الواحدي، علي بن أحمد (١٤١٥ هـ) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق، بيروت: دار القلم ، الدار الشامية.

الواحدي، علي بن أحمد (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض وأحمد صيرة وأحمد الجمل وعبد الرحمن عويس، بيروت: دار الكتب العلمية.

الوادعي، مقبل بن هادي (١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م) الصحيح المسند من أسباب النزول، ط٤، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

درويش، محيي الدين بن أحمد (١٤١٥ هـ) إعراب القرآن وبيانه، ط٤، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار اليمامة.

زين الدين الرازي، محمد بن أبي بكر (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) مختار الصحاح، ط٥، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت – صيدا: المكتبة العصرية - الدار النموذجية.

صافي، محمود بن عبد الرحيم (١٤١٨ هـ) الجدول في إعراب القرآن الكريم ، ط٤، ج٤، دمشق: دار الرشيد، بيروت: مؤسسة الإيمان.

طنطاوي، محمد سيد (١٩٩٧م) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد الملك بن هشام، التيجان في ملوك حمير، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، (صنعاء: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ١٣٤٧هـ).

عمر، أحمد مختار (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) معجم اللغة العربية المعاصرة، المملكة العربية السعودية: عالم الكتب.

فخر الدين الرازي، محمد بن عمر (١٤٢٠ هـ) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، تركيا: دار الدعوة.

محمد بن الحسن الزبيدي، أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف.

محمد المرزباني، معجم الشعراء، تحقيق: ف. كرنكو، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ).

نويهض، عادل (١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م) معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط٢، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

ياسين، حكمت بشير(١٤٠٤هـ- ١٤٠٥م) تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين للحافظ الناقد المفسر أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي دراسة وتحقيق رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

ياسين، حكمت بشير (١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، المدينة النبوية: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة.

ياقوت الحموي، (١٤١٤ هـ)، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

****

الآيـــــــــــــــــة	رقم الآية	السورة	الصفحة
وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ	٥٤	البقرة	٨٢
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا...	١٠٤	البقرة	١١٨
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ	١٦٨-١٦٩	البقرة	٤١/٣٢
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ...	١٧٠	البقرة	٤٢
وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى...	١٩٧	البقرة	١٣٢
وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ...	١٩٥	البقرة	١٣٣
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ	٢٢٢	البقرة	١٨٢
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ...	٢٧٥-٢٨٠	البقرة	٥٢
لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ...	٢٨	آل عمران	٨٥
قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ	٢٩	آل عمران	٦٦
كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ...	١٠١-١٠٢	آل عمران	٩١
وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ...	١٤٣	آل عمران	٩٧
وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ..	١٤٤	آل عمران	١١٣/٩٧
وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ...	١٥٢	آل عمران	٧٣
وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ	١٥٤	آل عمران	٦٨
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ...	١٥٩	آل عمران	/١٦٢/٥٥ ١٦٦/١٦٣
أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا...	١٦٥	آل عمران	١٠٣/٩٨
وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ...	١٨٠	آل عمران	١١١
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ...	١٨٥	آل عمران	٨٩
لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ...	١٨٨	آل عمران	٨٤
إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا...	١٠	النساء	٨٦
فَإِنْ تابا وَأَصْلَحا فَأَعْرِضُوا عَنْهُما...	١٥-١٨	النساء	/٨/٢٢/١٨ ١٨٠١
وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ	٣٤	النساء	١٤/٦٥/٤٩ /١٥١/٣ ١٨٠
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ...	٣٥	النساء	١٣١
وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا...	٣٥	النساء	١٢١
وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ ...	٣٨-٣٩	النساء	١١٦
ويُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا	٦٠	النساء	٣٣
وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا	٦٣	النساء	٤٧
وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ..	٦٤	النساء	٨٠
فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ	٦٥	النساء	١٢٢
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ...	٧٧-٧٨	النساء	١١٢/٩٠
وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ ...	٨١	النساء	٩١

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أوِ الْخَوْفِ...	٨٣	النساء	٩٩
وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا...	٩٤	النساء	١١٠/٦٩
لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي	٩٥-٩٦	النساء	٥٦
هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...	١٠٩	النساء	١٠٦
وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ...	١١٢	النساء	١٨
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ...	١٣٥	النساء	١٧٩/١٤٠
فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تَعْدِلُوا...	١٣٥	النساء	٣٠
وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ...	١٤٠	النساء	٨٧
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ...	٨	المائدة	١٧٨/١٧٧
إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...	٣٣	المائدة	٣٣
وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً...	٣٨	المائدة	١٥٤
لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ...	٨٩	المائدة	١٤٥
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ...	٩٥	المائدة	١٤٥
وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	٤٣	الأنعام	٣٤
وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ	٦٨	الأنعام	١٢٥
وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ	١١٩	الأنعام	٢٨
كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ...	١٥٤	الأنعام	٢٣
إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ	١٥٩	الأنعام	١٢٥
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ	١٢	الأعراف	٩٤
يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ...	٢٧	الأعراف	٣٢
وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا...	٢٨	الأعراف	٤٣
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ	١٤٦	الأعراف	٣٧
إِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُم لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُم...	١٦٤-١٦٥	الأعراف	٥٣
وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا...	١٧٥-١٧٦	الأعراف	٣٠
خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ	١٩٩	الأعراف	١٦٧
إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ...	٢٠١	الأعراف	٣٦
وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً...	٢٠٥	الأعراف	٣٩
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ...	٢٧	الأنفال	١٣٤
مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى...	٦٧-٦٨	الأنفال	٩٦
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا...	٣٨	التوبة	٩٨
وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ...	٦١	التوبة	١٣٩
وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ...	٦٥-٦٦	التوبة	١٠٧
فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ...	٨٣	التوبة	١٤٣/١٠٦
لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ	١١٧-١١٨	التوبة	٧٢
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ...	٥٧	يونس	٤٨
أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...	٧٨	يونس	٤٢
وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ...	٣	هود	٧٨
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي..	٣٥	هود	١٧
قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ	٥١	يوسف	٩٥
هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ...	٨٩	يوسف	٢٤

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ...	٣٩	الحجر	٣٩
لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ...	٢٥	النحل	١٨
إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ	٩٠	النحل	١٧٨
ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ...	١١٩	النحل	٢٢
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ	١٢٥	النحل	٤٧
وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا	٣٢	الإسراء	٣٤
{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	٣٦	الإسراء	١٠٥
وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ..	٢٨	الكهف	٣٩/٣٨
وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ	٣٤	الأنبياء	٨٩
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ...	٣٥	الأنبياء	٨٩
قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ	٥٣	الأنبياء	٤١
فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا...	٩٧	الأنبياء	٣٧
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ	١٠٧	الأنبياء	١٦٣
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ	١١	الحج	٨٥
الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ	٢	النور	١٥٤
وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ...	٤	النور	١٥٦
لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ...	١٢	النور	١٠٠
وَلَوْلَا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا ...	١٤	النور	١٠٠
إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم...	١٥-١٩	النور	١٠٥/٥١
وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ...	١٦	النور	١٠١
وَلَوْلَا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ...	٢٠	النور	٧١
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ...	٢١	النور	٣٤
وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ...	٢٢	النور	١٨١/٧٠
إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ ...	٢٣-٢٤	النور	٨٨/٨٧
وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ	٣١	النور	٧٨
قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا...	٦٤	النور	١٤١/٥٧
أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ...	٤٣	الفرقان	٢٨
قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ	٧٤	الشعراء	٤١
فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ	٥٥	القصص	٢٧
بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ...	٢٩	الروم	٢٧
وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّهِ...	٥٣-٥٤	الأحزاب	٦٧
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...	٢١	الأحزاب	٧٦
إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا...	٦	فاطر	٣٢
أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا...	٨	فاطر	٢٩
قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ...	٥٣	الزمر	١٧
غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ...	٣	غافر	٧٨/١٧
وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ...	٣٦	فصلت	٣٥
بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ...	٢٢	الزخرف	٤١
قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ...	٢٤	الزخرف	٤٢
أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ...	٢٣	الجاثية	٣١/٢٩
وَلَوْ يَشَاءُ اللّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ...	٤	محمد	١٠٤

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا	٢٤	محمد	٥٨
هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...	٣٦-٣٨	محمد	١١١
لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ	٤	الفتح	٦٣
سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا ...	١١	الفتح	٦٤
سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ ...	١٥	الفتح	١٠٤
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ	٢٩	الفتح	١٦٢
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ	١	الحجرات	١٣٥/٦٧
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ...	٢	الحجرات	١٣٥/٨٣
إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ...	٤-٥	الحجرات	١١٧
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا	٦	الحجرات	١٧٠
وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا...	٩-١٠	الحجرات	١٢٤
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ...	١٢	الحجرات	١٧٣/٨٠
قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا...	١٤-١٥	الحجرات	١٠٩/٥٤
وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ	٥٥	الذاريات	٦٣
وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ	٣	القمر	٢٧
كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ...	٢٦-٢٧	الرحمن	٨٩
أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ	١٦	الحديد	١٠٢/٥٨
قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا...	١-٤	المجادلة	/١١٤/٩٤ ١٤٧
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ...	١	الممتحنة	١٢٧
قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ...	٤	الممتحنة	١٢٧/٧٥
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ...	٢-٣	الصف	٩٧
وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ	٧	الجمعة	٩٢
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ...	٩	الجمعة	١٣٠
وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا...	١١	الجمعة	٦٩
وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ...	١٠-١١	المنافقون	٩٢
وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا...	٣	التحريم	٥٩
إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَإِنْ تَظاهَرا	٤	التحريم	٧٩
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ...	٢	الملك	٨٩
إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ	١٧	القيامة	١٣
فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ	١٨	القيامة	١٣
فَكَذَّبَ وَعَصَى	٢١	النازعات	١٨
فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ	٢١-٢٢	الغاشية	٦٣
فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (*) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى	٩-١٠	الأعلى	٦٣
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (*) مَلِكِ النَّاسِ...	١-٦	الناس	٣٥
الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ	٥	الناس	٣٣

فهرس الأحاديث

الحـــديث	الصفحة
اجتنبوا السبع الموبقات ..	١٥٦
اختصم رجل مع الزبير رضي الله عنه في السقاية وذهبوا إلى النبي	١٢٢
إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ، هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ	٤٩
إِذَا زَنَتِ الأَمَةُ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا وَلاَ يُثَرِّبْ، ثُمَّ إِنْ زَنَتْ ...	١٨٠
اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا العبد	٦٥
أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ	٨٩/٨٦
إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ	٣٣
إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم...	١٠٢
أَنَّ امْرَأَةَ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَتْ لَهُ حِينَ قَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا ...	٩٦
إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ	٨٣
أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ...	١٥٢
إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ ..	٨٤
أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا ...	١٦٧
أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك: ما...	١٠٤
إنا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ، وَأَظْهَرَ...	١٣٣
انْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ فَإِنَّهُ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ	٥٠
إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا ...	١٦٢
إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً	١٦٣
أو أجهل أو يجهل علي	٢٤

إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ	١٧٣
ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا..	١٢٦
بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ...	١٦٥
ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد...	١٦٢
كان صلى الله عليه وسلم يتخول الصحابة بالموعظة ...	٦١
كفى بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع ...	١٧١
كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ ...	٨٥
كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ، فَقَال...	٨٨
لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم	١٥٨
لا تهجر إلا في البيت	١٤٣
لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا ...	٤٩
لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ ...	١٧٤
لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم	١٥٢
لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام..	١٤٤
لقد أطاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة كلهن يشكون أزواجهن ...	١٥٢
لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ..	١٨٢
لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه، ..	٨٢
لو اطلع في بيتك أحد ولم تأذن له خذفته بحصاة ، ففقأت عينه ...	١٧٣
مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ، مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ...	١٦٦
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ...	٢
ولكم عليهن أن يُوطِئنَ فُرُشَكُم أحداً تكرهونَه، فإن فَعَلْنَ ...	١٥١
يا نبي الله، لو أتيت عبد الله بن أبي. فانطلق إليه النبي...	١٢٣

فهرس الأعلام

العلَم	الصفحة
ابن أبي حاتم	٢٣
ابن الجوزي	٣٦
ابن القيم	١٦٤/٤٠/٣٨/٣١/٢٥
ابن تيمية	١٨٢/١٧٥/١٧٢/١٦٧
ابن عاشور	١٥٥/١٤٨/١٤٠/١٢١
ابن عباس	٩٨/٣٣
ابن عطية	١٨١/١٢٥/١١٥/١٨١
ابن قتيبة	٧٤
ابن كثير	١٣٢
ابن مسعود	٩٨
أبو العالية	٢٣
أبو أيوب الأنصاري	٩٦
أبو بكر الصديق	١٨٠/٧٠
أبو مسعود البدري	٦٥
البغوي	٧٥
التهانوي	١٧
حاطب ابن أبي بلتعة	٧٥
حسان ابن ثابت	٧٠
حفصة بنت عمر بن الخطاب	٥٩
حمنة	٧٠
الرازي	١٥٥/١١٤/١١٣
السعدي	١٧٠/١٦٦/١٣٠
سفيان الثوري	٥٩
الطبري	٧٣/١٨
طعمة ابن أبيرق	١٣٩/١٣١
عبد الله ابن أبي ابن سلول	٥٠
العسكري	١٨
عوف بن مالك	١٠٤

الفراء	١٨
قتادة	٢٩/٢٣
القرطبي	١٧٤/١٥٢/١٢٧/١١١/٩٧
كعب ابن مالك	١٤٢/٩٨/٧١
مرارة ابن الربيع	١٤٢/٩٨/٧١
مسروق	٢٦
مسطح	١٨٠/٧٠
هلال ابن أمية	١٤٢/٩٨/٧١